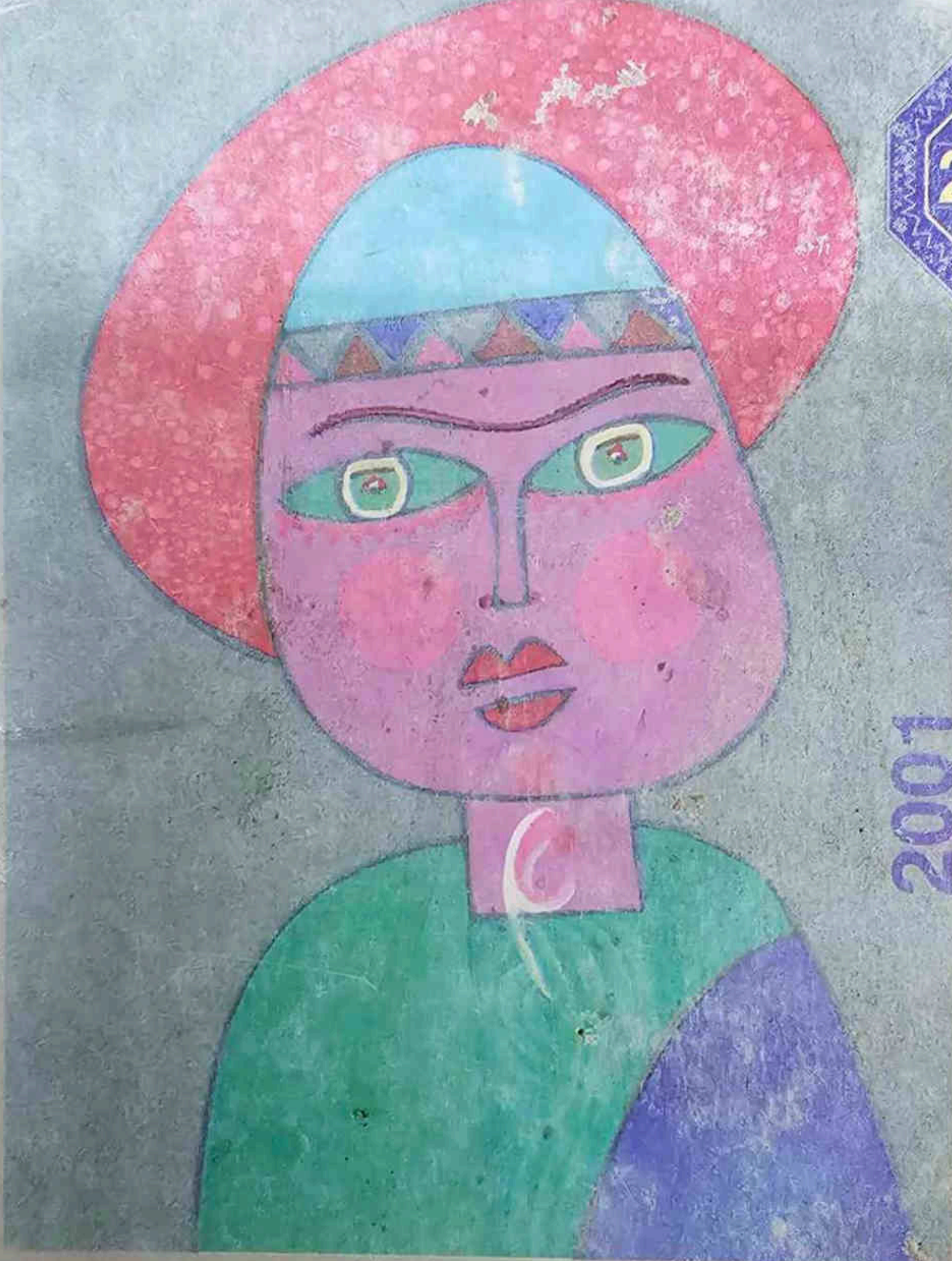
مكتبة الأسرة
2001
مهرجان القراءة للجميع 2001

روائع الأدب العالمى للناشئين



مصباح منتصف الليل

تأليف: بارى ستافيس

مراجعة: مختار السويفى

ترجمة: الشريف خاطر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مصباح منتصف الليل

تأليف : بارى ستافيس
ترجمة : الشريف خاطر
مراجعة : مختار السويفى

الشخصيات
حسب الظهور

١ - جاليليو جاليلى
٢ - برليسينا (الأخت ماريا فيما بعد)
٣ - ساجريدو نيكوليلى.
٤ - چب ماتزوليلى
٥ - مادچيلى
٦ - سيتزى.
٧ - ليبرى.
٨ - الأمير فيدريجو شيسى.
٩ - فابرشيوس.
١٠ - ألدو برانديلى.
١١ - الكونت مورومبلى.
١٢ - الكاردينال زوشيا.
١٣ - الكاردينال مافيو باربريلى
(البابا أربان الثامن فيما بعد)
١٤ - الكاردينال ڤيروسبى.
١٥ - أسقف ڤيسنا.
١٦ - كبير أساقفة نابولى.
١٧ - الكاردينال بلارمن.

١٨ - الأب كلافيوس.

١٩ - سيزار.

٢٠ - كارلو باربريلى.

٢١ - فرانشسكو باربريلى.

٢٢ - الميجور دومو.

٢٣ - لانديلى.

٢٤ - بائع الكتب.

٢٥ - ڤيلانى.

٢٦ - الرسول. أوالخادم.

٢٧ - الأب فيرتزولا.

٢٨ - الأب ريكاردى

٢٩ - شامبولى.

٣٠ - الراهب الدومينكان

٣١ - المحلف الأول.

٣٢ - الكاردينال بورجيا.

٣٣ - الكاردينال بللنوجوليو.

٣٤ - الأم سوبيريور

المكـان: إيطاليا

الزمان: ١٦٠٩ - ١٦٣٤

الفصل الأول

مختبر ومعمل جاليليو فى فلورنسا عام ١٦٠٦ . الوقت ليلا . تنتثر فوق المناضد مصابيح زيتية ومعدات. جاليليو يقوم بصقل إحدى العدسات. يقوم مساعده النشط چب ماتزوليلى ذو الثمانية عشر عاما بلحام أسطوانة تلسكوب بقاعدته. ساجريدو نيكوليلى سفير فلورنسا فى روما وصديق جاليليو يراقب سير العمل بإهتمام شديد. عندما يحتاج چب مُساعدة، يُهرع ساجريدو لمعاونته. بوليسيدا ابنة جاليليو الجميلة ذات التسعة عشر عاما. تعزف على العود وتغنى. جاليليو فى حوالى الخامسة والأربعين، شعره مُشْرَبٌ بالحمرة وكذلك لحيته. حركته سريعة حاسمة ،عيناه مُتسعتان، ويداه حيويتان بارعتان. مندفع لكنه يُحسن السيطرة على نفسه، مرح وقوى.

بوليسينا : [تغنى بمصاحبة العزف على العود]

ذات يوم جاء حاج فقير إلى زيتا

طالبا برجاء قليلا من الماء.

،كم أود يا أخى أن أقدم لك النبيذ،

لكن نوان الماء، سيرضيك، فهذا شيء يخصك،!

(تتلعثم للسيانها السطر التالى، فيهرع إليها ساجريدو لمساعدتها)

بوليسينا وساجريدو: وما إن قالت ذلك، حتى سحبت الماء من البئر ورسمت علامة الصليب بغصن الزيتون.

بوليسينا: (وحدها).

قالت بصوت خفيض جميل: ،يا إلهى،

فلتجعل ذلك الماء حلواً من أجل واحد من عبادك،.

شرب الحاج، ثم رفع رأسه فى إبنها، وقال ،لكن هذا نبيذ رائع حقاً،؟

جاليليو: الوقت، يا چب، الوقت! تحرك، يا بلى، تحرك!

چب: أنا أعمل بأقصى ما أستطيع من سرعة.

جـاليليـو: [يتناول قطعة خبز من طبق قريب ويأكل بيد واحدة، بينما يصقل العدسة بيده الأخرى] والآن ضع شريطا كبيرا حول الأسطوانة.

چـب: (يلومه بنوع من الود) يا سيد جاليليو، أنت تقتل نفسك، فأنت تعمل وكأنك ثلاثة رجال. تعمل ليل نهار.. تعمل!

بوليـسينا: أبى! الأكل بهذه الطريقة غير صحى. [يجذب جاليليو رأس بوليسينا قرب وجهه. لكنها تبعد نفسها بضيق] لحيتك فى حاجة للتهذيب. [جاليليو يراقب ما يجرب بعناية، ويشير بأصبعه المتقلص ناحية چب، فيقوم بوضع التلسكوب على الرف بمعاونة ساجريدو، ويربط الصواميل].

چـــب: (مواصلاً لومه فى ود) متى تستريح؟ وأنت لا تستريح! متى تنام؟ وأنت لا تنام! [أثناء ذلك يكون چب قد أتم ربط الصواميل بقوة. ثم يستند إلى الرف] أنظر يا سيد جاليليو، انه فى قوة الصخر ومتانته.

جاليليو: [يصيح فى ساجريدو بسرعة، الذى كان على وشك الإمساك بالعدسة] كلا! لا تلمسها! أرجوك!

ساجريدو: لقد انتهى الصقل، أليس كذلك؟

جاليليو: نعم، لكننى سأقوم بتلميعها فور أن يزول هذا التقلص اللعين من أصابعى. [يقوم جاليليو بتدليك أصابعه، ثم يلمع العدسة].

ساجريدو: هل قمت بإعادة كتابة ذلك الخطاب إلى الأكاديمية فى ليدن؟

جاليليو: نعم. وقد أخذت بإقتراحك. لقد كتبته بوليسينا .. (إلى بوليسينا) بوليسينا، أحضرى الخطاب!

بوليسينا: تقصد ذلك الخطاب الموجه إلى رئيس أكاديمية ليدن؟

جاليليو: [بعدم صبر] أجل. أجل (تحول بوليسينا رد فعلها لعصبية جاليليو إلى دعابة هادئة. تحضر الخطاب. ثم إلى ساجريدو] الجزء الأول كما كان من قبل. (ثم إلى بوليسينا) إبدأى بالفقرة الثانية.

بوليسينا: [تقرأ من الخطاب] «أما الآن فلدى مجموعة من الأخبار الخاصة منذ عدة شهور مضت سمعت عن عدسة مكبرة، تُقرب الأشياء وتجلعها تبدو واضحة تماما. فإذا كان هناك شخص

على بعد ميلين، يمكن رؤيته بوضوح تام. ولقد نجحت مؤخراً فى صنع عدسة متميزة عنها. أما بالنسبة للتلسكوب الخاص بى، فهو يقرب المسافة عشر مرات».

چـــب: (بحماس) فى كل ميدان، فى كل شارع، فى كل بيت.. لا يسمع المرء شيئا سوى الحديث عن عدسة السيد جاليليو الكاشفة .. أو صندوق السيد جاليليو السحرى.. أو منظاره العجيب! العين المجردة لا ترى شيئا.. لكن منظار جاليليو السحرى.. عندما يوضع أمام العين، فإذا بالشىء فجأة يشخص أمامه، معجزة، هذا ما يُطلق الناس عليها. من يدرى؟ ربما يضمك بابا روما إلى قائمة القديسين. وتصبح القديس جاليليو!

ساجريدو: يربت على إسطوانة التلسكوب. مجرد اسطوانة من الرصاص. لا حياة فيها، لكن جاليليو بث فيها الحياة بإضافة زوج من العدسات. لقد خلق الله الرجل بضلع ناقص فجسده جاليليو من خلال العدسات. لو كنت مُهرطقا، لقلت إن جاليليو أكثر إبداعا من.. لكن باعتبارى ابنا مخلصا من أبناء الكنيسة الأم، فلن أقولها.

جاليليو: (الذى كان مستمتعاً بكل ذلك) واصلى.. القراءة.

بوليسينا: (تواصل القراءة) أنا الآن أصنع عدسة جديدة..

أكثر فعالية.. وهذه العدسة الخاصة بى لها استعمالات عديدة، سوف أكتب لك عن المزيد من تطوراتها الجديدة.

جاليليو: والخاتمة كما هى.

ساجريدو: عظيم. سنرسلها فورا إلى الأكاديمية فى لينكس.

چـب: [يختبر حركة التلسكوب] ليس هناك فرق عن الرسم التخطيطى ولو بشعرة. (جاليليو يتجه ناحية التلسكوب ويتفحصه. چب يرتمى منهكا على أحد المقاعد).

جاليليو: (بعدم صبر) هل تعبت؟ ما الأمر معك؟

چـب: أنا رجل واحد.. ولست ثلاثة رجال!

جاليليو: أريدك أن تتم الإطار هذه الليلة، على حين أكون أنا قد انتهيت من هذه العدسة.

چـب: لكنك لن تستطيع استخدامها بالليل؟ فماذا يمكن للمرء أن يرى فى الظلام؟

جاليليو: (بابتسامة ذات مغزى) ارقد يا عزيزى. استرح.

چـب: [يتمدد على الأرض، لكنه ينهض على الفور] ما المدى الذى ستحققه هذه العدسة الجديدة؟

جاليليو: (كحقيقة مؤكدة) عشرون مرة بمقدار القُطر.

جـب : (مأخوذاً) عشرون! إذن فهى تستطيع تقريب أى شىء بمقدار أربعمائة .. أربعمائة مرة. أربعمائة ! سيد جاليليو، هل أنت تمزح؟

جاليليو: كلا . أنا لا أمزح.

جـب : إذن فالشىء الذى يبعد أربعمائة ميل. سيبدو على بعد ميل فقط!

جاليليو: إذا كانت حساباتى صحيحة.

ساجريدو: (منتبها) وبناء على ذلك، فهل الشىء الذى يبعد أربعين ألف ميل، سيبدو على بعد مائة ميل فقط؟

جاليليو: هذا صحيح.

جـب : أربعون ألف ميل! لا يوجد شىء على الأرض يبعد أربعين ألف ميل! فالأرض مستديرة! كولمبس أثبت ذلك! وماجلان أبحر حولها! (يقوم برسم منحنى فى الهواء يمثل الكرة الأرضية بإحدى يديه، وبالأخرى يرسم خطا مستقيما متجها نحو الفضاء) أربعون ألف ميل باتجاه... باتجاه السماء (مذبهرا) نحو الفضاء! (بشىء من الخوف) أربعون ألف ميل! يا سيد جاليليو!

ساجريدو: مجرد إنسان سوف ينفذ ببصره عبر أربعين ألف ميل! لكن ماذا تتوقع أن ترى؟

جاليليو: (يرفع المصباح إلى أعلى ويتفحص العدسة على ضوئه، يحركها إلى الأمام والخلف. يرى وجهه مكبراً ومشوهاً خلال العدسة، ثم ينضح سطح العدسة، ويلمعها. ثم يثبتها بعناية شديدة) تُرى ماذا تتوقع أن أرى..؟

ساجريدو: أنت لن ترى الفضاء فقط.. بل سترى أشياء أخرى. سترى النجوم!

جاليليو: أعرف.

ساجريدو: سوف تراها أكبر وأقرب دونا عن أى إنسان رآها من قبل.

جاليليو: وربما أرى نجوماً جديدة أيضا.

چب: نجوما جديدة. يا بوليسينا!

بوليسينا: نجوما جديدة؟!

جاليليو: هى ليست نجوما جديدة. لكنها كانت موجودة طوال الوقت.

لم تستطع عين الإنسان أن ترها من قبل. عندما تكون السماء مكسوة بغلالة من الضباب تستطيع رؤية نجوم قليلة .. وعندما يكون الليل صافيا نرى العديد منها. سوف يخترق تلسكوبى هذه الغلالة ويكشف عنها...] ينتهى من المرحلة الأخيرة لتثبيت العدسة، يوجه التلسكوب ناحية السماء ويحملق. يصيح بدهشة شديدة وهو يتراجع إلى الخلف] ! انظروا! (ساجريدو يتطلع من خلال التلسكوب، بينما ينحنى كل من چدب وبوليسينا استعداداً لأخذ دوريهما فى النظر، فى حين يتراجع جاليليو إلى الخلف ويرسم علامة الصليب على صدره. ثم ينفجر فى ضحكة انتصار مرحة.

(تثبت الشخصيات فى مكانها. تطفأ الأنوار. تدخل ثلاث شخصيات إلى المشهد.. تضاء أنوار المسرح ثابتة فتتحرك هذه الشخصيات، وهى : البرفيسور مادجينى، رئيس قسم الرياضيات بجامعة بولونيا، والبروفيسور ليبرى أستاذ الفلسفة بجامعة بيزا، والبروفيسور سيتزى الفلكى المشهور فى فلورنسا، ومن عادته إرتداء ملابس الرهبان. هؤلاء الرجال الثلاثة أشهر الأساتذة الذين يقومون بالتدريس فى أهم الجامعات. وفى نقاشهم مع جاليليو يبدون تفهما كبيرا للعلوم المعاصرة.

مادچينى : وهكذا فأنت تصر يا جاليليو، على أن هناك أربعة أقمار تدور فى فلك چوبيتز.

جاليليو: فعلا.

مادچينى : معنى ذلك أنك تريد زيادة عدد الكواكب من سبعة إلى أحد عشر كوكبا.

جاليليو: لا دخل لى فى نقصان عدد الكواكب أو زيادتها. لقد وجهت تلسكوبى نحو كوكب چوبتز ليلة بعد ليلة، وإكتشفت أنه لما كان لأرضنا قمر واحد يدور حولها. فإن لچوبتز أربعة أقمار. وأنا أريدكم هذه الليلة أن تنظروا خلال التلسكوب لتروها بأنفسكم.

سيتزى : لكن أرسطو قرر أن هناك سبعة كواكب.

جاليليو: لقد مات أرسطو منذ ألفى سنة. كان يعرف الكثير.. لكن ليس كل شىء. ربما كان على خطأ؟!

ليبرى : (بفزع) أرسطو على خطأ؟!

مادچينى : هل تُنكر علم أرسطو وحكمته؟

جاليليو: إن تمسككم برجلٍ عاش منذ ألفى سنة تعتقدون أنه كان على علم بكل شىء، هو إنكار للمستقبل. كيف يتسنى لنا أن

نحجر على الفكر الإنسانى ونكبله؟ من ذا الذى يجرز على أن يتصور؛ بأن كل ما يوجد فى العالم قد تم إكتشافه بالفعل؟.

سيتزى: لا يوجد إلا سبعة كواكب فقط فى السماء! هكذا قال أرسطو. سأريك الصفحة. [يتناول كتابا ضخما من لبيرى أحضره معه. ويقلب صفحاته حتى يجدها].

مادجينى: (يتطلع من فوق كتف سيتزى) ها هى!

ليبرى: (يتطلع من فوق كتف سيتزى) ها هى!

(يدفعون الكتاب بزهو أمام ناظرى جاليليو)

جاليليو: [يغلق الكتاب دون أن ينظر إليه] لكن ماذا ستقولون عندما تنظرون خلال هذا التلسكوب وترون أحد عشر كوكبا.. بأعينكم؟

مادچينى: لن أصدق عينى.. إن وجودها يتعارض مع مبادىء المفهوم السائد.

سيتزى: أنا لست بحاجة إلى النظر. سبعة. سبعة! لا أكثر ولا أقل! هكذا قال أرسطو.

جاليليو: لو أن العلم كله ينحصر فى أرسطو، لأصبح ثلاثتكم

أيها السادة الأفاضل، أعظم العلماء فى العالم.. ولملكتم ناحيته على أطراف أصابعكم.

مادچينى : (بصبر) جاليليو، العالم خُلق فى سبعة أيام.

ليبرى : والرقم سبعة، رقم مقدس.

جاليليو: كل رقم بالنسبة لعلماء الرياضيات رقم مقدس.. لا فرق بين رقم وآخر.

مادچينى : إن كلاً من الطبيعة والكتاب المقدس يشيران إلى قدسية الرقم سبعة. المعادن السبعة الموجودة فى الأرض. الشمعدانات السبعة فى سفر الرؤيا، درجات السلم الموسيقى السبع.

سيتزى : الكنائس السبع فى آسيا. والسبعة.

جاليليو: (بصلابة) السبع خطايا القاتلة.

سيتزى : (ينظر إليهم بتجهم) والسبع ترانيم المقدسة.

مادچينى : والسبعة أيام فى الأسبوع المرتبطة بأسماء الكواكب السبعة. إن زيادة أعداد الكواكب، معناه إنهيار نظام الأرض. وهل نحن فى حاجة إلى أحد عشر يوماً فى الأسبوع؟ أحد عشر يوما فى الأسبوع!

سيتزى: كم عدد فتحات الرأس؟ فتحتان للأنف، وإثنان للعينين، وفتحتان للأذنين، وفتحة للفم. هكذا الأمر فى السماء، نجمان حميمان، ونجمان معتمان، وإثنان منيران، وعطارد النجم الحيادى الذى لم يستقر بعد.

مادچينى: (بيقين) مما لا شك فيه أن الرقم سبعة، رقم مُقدس.

جاليليو: إن جدالكم أيها السادة الأفاضل ذو قيمة كبيرة. لكننى لو كنت سمعته قبل ذلك، بما فيه من منطق جميل، لكان من الممكن أن يُعرفنى بأن هناك سبعة كواكب فقط. لكن بعدما رأيت هذه الكواكب بعينى، لا أستطيع أن أقبل أى جدال مهما كانت قيمته، لكى يجعلنى أمحو هذه الكواكب من السماء.

ساجريدو: لقد وضعها جاليليو هذاك بيديه لكى يضايق الأرسطيين. لماذا أيها السادة الأفاضل لا تقفوا ضده بدوركم، وتضايقوه بطردها من السماء بتعويذة سحرية؟

سيتزى: (إلى مادچيلى وليبرى) أعتقد أن هذه الكواكب حتى لو كانت موجودة، فإنها لن تُرى بالعين المجردة، وبالتالى لن يكون لها تأثير على الأرض.. (بانتصار)... ولذلك فلن يكون لها وجود.

ساجريدو: أنظروا كيف يقوم هذا العالم الفلكى العظيم بمحو الكواكب. بمجرد الإعلان عن عدم وجودها.

سيتزى: (إلى جاليليو) لقد ضيعت وقتنا بدعوتنا للحضور إلى هنا. لن يكون لها وجود. وحتى إن وجدت، فلن يكون لها وجود.

[مادچينى يهز رأسه متفقاً معه. أما ليبرى فينهض بارتباك ويلتقط العدسة ويتفحصها].

ساجريدو: [يشير إلى القمر، الذى بزغ توا] أيها السادة الأفاضل، القمر يسطع بوضوح فوق قمم التلال. (يتطلع إلى المجموعة) والآن، أيكم سيكون الأول لينظر خلال التلسكوب ويؤكد ملاحظات جاليليو، مادچينى أستاذ الرياضيات، أم ليبرى أستاذ الفلسفة، أم سيتزى العالم الفلكى؟

جاليليو: (بسرعة، عندما لاحظ ترددهم جميع) لقد تناقشنا بضراوة من أجل نظامى الكون. أنتم تتفقون مع أرسطو بأن الأرض هى مركز الكون. وأنا أؤمن مع كوبرنيكس بأن الشمس هى المركز وأن أرضنا ما هى إلا كوكب مثل بقية الكواكب، تدور حول الشمس. وكل إكتشاف لى يميل إلى تأكيد أن أرضنا كوكب. أليس من الممكن أن يكون النظام كله.. النجوم والكواكب والأرض

والقمر.. مرتبطاً بقانون واحد نبيل... ومهمتنا تكمن فى التعرف على هذا القانون؟ هذا هو السبب الذى جمعتكم من أجله هنا الليلة. الطلبة فى كل أنحاء أوربا، يتلقون المحاضرات على أيديكم. وبإمكانكم أنتم الثلاثة، نشر أخبار هذه الاكتشافات فى جميع أنحاء أوربا . [مناشدا إياهم] أيها السادة الأفاضل!

سيتزى: [يتجه إلى صوب التلسكوب، ينظر إليه فى حذر، يتردد، ثم يلتفت إلى جاليليو] أنت متلهف جدا لكى تجعلنا ننظر خلال بدعتك الغريبة. هل قمت برسم حكاياتك السماوية هذه داخل أسطوانة التلسكوب؟ [يبتعد عن التلسكوب].

جاليليو: [فى غضب، وهو يشير إلى التلسكوب] دعك من ذلك! أراهن بألف قطعة من الذهب، لو وجدت شيئاً!

سيتزى: اسمع يا جاليليو، إن ما تزعمه عن حركة الأرض وثبات الشمس، مخالف للطبيعة والإنجيل. أنت تبشر بالهرطقة!

جاليليو: (بهدوء) ليس لديك الحق فى استخدام هذه الكلمة. ليس لديك الحق فى...

سيتزى: (معترضا) بل لى كل الحق.

جاليليو: هل تستعين بالكتاب المقدس لتدعم تحيزك المهتز.

أنا أحذرك يا سيـزى! أنت، يا مـادچيني، قم وأنظر بنفسك حتى نقتنع.

مـادچيني : (يتجه ناحية التلسكوب، ينظر إليه عن عمد، ثم يتجه صوب جاليليو، يمسكه من يده ويُجلسه ويجلس إلى جواره) دعنا نجلس ونناقش الأمر بهدوء. لو أن الأرض تدور حول الشمس، كما تقول، فلابد أنها تسير بسرعة عدة أميال فى الساعة. أليس كذلك؟ (جـاليليـو يهز رأسه بنفاد صبر) سوف أقدم لك برهانا بسيطاً. (إلى ليبرى) ليبرى، قف هناك. (يوقف ليبرى فى وسط الحجرة) ليبرى هو الشمس، وأنا مادچيني، أمثل الأرض. أنا سأدور حول ليبرى (يبدأ فى الدوران ببطء حول ليبرى) ولأنه رجل ثقيل الوزن، سرعـان مـا تنقطع أنفاسه ويتكلم بلهاث، أنا الآن أدور بسرعة أربعة أميال فى الساعة.. سأزيد من سرعتى... لتصبح خمسة أميال.. أنا الآن أشعر بزيادة تردد أنفاسى. ستة أميال! أشعر بلهاث أكثر! والآن، لو أن الأرض هى التى تدور بدلا منى بسرعة تقدر فى أحسن الأحوال بأميال عديدة فى الدقيقة، وبالتالى ستحدث خلخلة فى الهواء من الشرق إلى الغرب، وستتطاير البيوت، وسيحتاج الناس إلى مخالب مثل مخالب القطط ليتشبثوا بالأرض. (يرفع يديه إلى أعلى) هل فى مخالب مثل القط؟

سيتزى : كلا، كلا، يا مادچينى. أنت لا تفعل ذلك كما يجب.

مادچينى : أنا لا أفعل كما يجب؟ كيف إذن؟

سيتزى : طبقا لمفهوم كوبرنيكس، فللأرض حركة مزدوجة.. حركة يومية وأخرى سنوية (يهرول سيتزى بجوار مادچينى، ويجعله يدور حوله مقلداً دوران الأرض اليومى والسنوى) حركة مزدوجة! حركة مزدوجة!

مادچينى : (يضحك، وهوى يدور مهرولا) حركة مزدوجة! (يتكلم وهوما زال يتحرك) لو تحركت الأرض، فلن يستطيع طائر أن يتوجه إلى الشرق، ففى اللحظة التى يهم فيها بالطيران من فوق فرع الشجرة، ستكون الشجرة نفسها قد طارت ناحية الشرق بأسرع مما يستطيع الطائر. لذا فمن المحتم أن يكون الطيران دائما نحو الغرب. لكنى شخصيا رأيت طيوراً تطير ناحية الشرق. بناء على ذلك، فإن الأرض ثابتة، والشمس هى التى تدور حولها. [يصاب فجأة بدوار، فيتهاوى على أحد المقاعد، وبعد أن يلملم شتات نفسه، يتذكر تجربة أخرى فيقفز واقفا] . برهان آخر. [يضع منديله على الأرض ويقف فوقه) سوف أرفع نفسى من فوق الأرض. فلو أن الأرض تتحرك جهة الشرق، فسوف أهبط ناحية الحائط الغربى. أما إذا كانت الأرض ثابتة، فسوف أهبط فوق منديلى الكتانى.

(يقفز إلى أعلى بأقصى ما يستطيع ويهبط فوق المنديل) والآن هل اقتنعت؟

چيب: (بغضب، ولا يستطيع السيطرة على نفسه) إذا كنت تريد أن تعرف أن السيد جاليليو على صواب أم على خطأ؟ (يغفل تحذير جاليليو له بالسكوت «جيب») ما عليك إلا أن تنظر خلال التلسكوب لمدة عشر دقائق.. ثم قرر. (يندهش من تهوره، تتجه بوليسيا نحوه، وتشير له بحركة كلها تأييد).

سيتزى: (ببرود) عندما نحتاج لرأيك، أيها الشاب، فسوف نطلب منك ذلك. (إلى رفيقيه) أيها السادة، لقد تأخر بنا الوقت. ألا ننصرف؟

ساجريدو: لكن، يا سيتزى..

سيتزى: (إلى جاليليو) بصفتى رئيسا للجامعة، ومن حقى الإشراف على المناهج، وهذه مسئولية خطيرة. فلن أمنع تدريس تخميناتك المتهورة فقط، بل مجرد الإشارة إليها.

ساجريدو: هل تعتقد أن تجاهلك لها، سيلقى بها فى وديان النسيان؟ إن بإمكانك أن تؤجل الحقيقة فقط.. لكن لا تستطيع طمسها. إن هذا الكشف الجديد فى علم الفلك.. أعظم منك.. بل أعظم من جاليليو..

سيتزى: (بشكل رسمى) أيها السادة، دعونا نلقى تحية المساء على مضيفنا. (يتجه ناحية الباب).

ساجريدو: (يشير إلى جاليليو بتعاطف) حتى لو أنكر هو نفسه اكتشافاته. فسوف تظل حقيقة. وما أن نُكتشفُ هذه الحقيقة، فسوف تحيا من تلقاء نفسها. (مادچيلى ينضم إلى سيتزى عند الباب. فى حين يبقى ليبرى)

سيتزى: ليبرى؟

ليبـرى: سأبقى.

سيتزى: قد لا يكون ذلك من الحكمة.

ليبـرى: سأبقى.

سيتزى: ربما تندم على ذلك.

ليبـرى: سأبقى، مهما يكن الأمر.

سيتزى: (بفتور) كما ترغب.

جاليليو: (بأسى) عمتم مساء، أيها السادة!

مادچيلى: عمت مساء (ينصرفان).

جاليليو: (يشير بأمل ناحية التلسكوب) ليبرى؟

ليبرى: أرسطو هو كل حياتى.. أقوم بتدريسه لطلبتى. وأنت تطلب منى أن أدير ظهرى لحياتى كلها.

جاليليو: هل تودُ الاستمرار فى تدريس الأكاذيب؟

ليبرى: سيبدأ فصلى الدراسى بعد ثلاثة أسابيع. سأدخل قاعة المحاضرات، وأجلس على منصة الدرس وأتطلع إلى هذه الوجوه الشابة، وآخذ نفسا عميقا وأفتح فمى بأول كلمة. فما الذى ينبغى على أن أقوله؟.. يا جاليليو.

جاليليو: (بتعاطف) مسكين، يا ليبرى.

ليبرى: أتريد منى أن أحطم أسس التدريس ونظم الجامعة؟

جاليليو: وأنت، أتريد منى أن أحطم تلسكوبى أيضا، هناك مناطق مجهولة فى الفضاء، ومناطق مجهولة فى ذكاء الإنسان، فى انتظار إكتشافها وسبر أغوارها. إنضم إلى! يمكننا أن نخلق توجهاً جديداً.

ليبرى: لكن، يا جاليليو، يوجد فى هذا الكتاب.. (يشير إلى كتاب أرسطو الذى بيده).

جـاليليـو: (يقذف بالكتاب فى عصبية على المنضدة) إن تلسكوبى سيجبرنا على كتابة كتب جديدة. ماذا تظننى كنت أفعل؟ لقد كنت أدون ملاحظاتى... وأرسم الخرائط. (يشير إليها) كتاب جديد، يا ليبرى فى علم الفلك الجديد.. ساعدنى.

سـاجـريدو: (يأخذ ليبرى من ذراعه) نظرة واحدة قصيرة وسوف تكتشف المزيد.. لن يؤذيك. لقد قمت بذلك أكثر من مرة. وصحتى ما زالت ممتازة، (يقود ليبرى أمام التلسكوب).

ليـبـرى: (يحملق فيه، مأخوذا) لو أننى نظرت... ورأيت.. كلا! دعنى وما أعتقده! (يترك كتابه خلفه، ويفر هارباً مشوحاً بذراعه، فيسقط إحدى الآلات على الأرض).

سـاجـريدو: (يمسك الكتاب فى يده، كما كان يزنه) أنهم يرتعبون من التغييرات المتوقعة. يرفضون الإدراك بأن الدوام شىء مستحيل إنهم يخشون أن تذوب الأرض فى الشمس، وأن تتحول الأرض الصلبة إلى رمال ساخنة متحركة. (يلتفت فيرى جاليليو يُنحى التلسكوب جانبا) ما الذى تفعله؟

جاليليو: ستمضى النجوم دون صحبتى هذه الليلة.

ساجريدو: هل تتوقع أن تُقنعهم؟

جاليليو: سأحاول فعل شيء ما. حتى لو مجرد كدمة أو شرخ فى جدار الخوف هذا... متى ستعود إلى روما؟

ساجريدو: غداً.

جاليليو: سأذهب معك.

ساجريدو: لماذا؟

جاليليو: لأعرض اكتشافاتى على الكنيسة، وأحصل على مساندتها لما لها من نفوذ وثقل.

ساجريدو: نفوذ الكنيسة وثقلها؟

جاليليو: ساجريدو: سرعان ما سيأتى ذلك اليوم الرائع، الذى تصبح فيه كنيستنا بطل الإعلان عن المعرفة الجديدة والحقيقة.

ساجريدو: إبق بعيداً عن روما.

جاليليو: سوف يرى الكرادلة والأساقفة، بل والكنيسة نفسها، الكواكب الجديدة وأوجه ڤينوس، والجبال فوق سطح القمر. سوف يرونها. ويعلنون موافقتهم. وبوقوف الكنيسة إلى جانبى، سوف أدحض شكوك سيتزى وليبرى.

ساجريدو: السماء دائماً ما تتبع اللاهوتيين. سوف تثير حنقهم بعرضك هذا، وسيعتبرونه انتهاكا لنفوذهم.

جاليليو: لابد أن أعتمد على قوة المنطق والحكمة والصدق التى ستصدر عنهم. سوف أتكلم وأتكلم حتى تسمعنى روما وتفهمنى.

ساجريدو: وأنت، يا بوليسينا؟

بوليسينا: (التى تأتى وتقف إلى جوار جاليليو) أنا سأذهب إلى دير القديس ماتيو. كنت أنوى التأجيل عاما آخر، لكننى رأيت أن أفعل ذلك فوراً. (تنظر بوليسينا وجاليليو إلى بعضهما بفهم).

جاليليو: وهكذا، سأذهب إلى روما، يا ساجريدو. هل ستساعدنى أم ستأخذ جانبا؟

ساجريدو: سأساعدك بالطبع. سنبذل جهدنا فى أكاديمية لينكس سيقدمون لنا كل النصح والتنسيق اللازم. لو قمنا باستغلال ذلك بمهارة كافية. فمن الممكن أن ننجح.

جاليليو: حسن إذن... إلى روما وأكاديمية لينكس.

(بوليسينا وجب يخرجان. أما جاليليو وساجريدو فينتقلان إلى المشهد التالى بعد تلاشى الإضاءة، وظهورها حيث فناء أكاديمية

لينكس. الشخصيات الموجودة هى: الأمير فيدريجو شيسى، وجاليليو، وفابرشيوس، وألدو براندیلی، وساجريدو. وخادم الأمير فيدريجو شيسى رئيس أكاديمية لينكس يختتم كلمة الترحيب بجاليليو).

شيسى: وبكل فخر عميق، وبكل سرور أدعوك للتوقيع فى دفتر عضوية أكاديمية لينكس.

جاليليو: [يضع الخادم الدفتر والريشة وزجاجة الحبر أمام جاليليو. يحدث هدوء متوقع عندما يرفع جاليليو الريشة ويغمسها فى زجاجة الحبر، بهدوء ووقار، لكن يحمل فى طياته نوعاً من البهجة].. أن أكون عضواً بأكاديمية لينكس، التى قدم أعضاؤها العديد من الجهود لخدمة العلم، فهذا شرف أدين لكم به. وحتى قبل إنشاء الأكاديمية، كان هناك رجال آخرون كونوا جماعات حافزها البحث العلمى. وأنا إذ أوقع الآن على هذه الصفحة، إنما أؤكد استمرارية تاريخ هؤلاء العباقرة أصحاب الخيال المبدع. (تصفيق) فليكن توقيعى بمثابة وعد منى بأن أسخر الجهاز الذى وضعه الله بين يدى، للبحث عن الحقيقة ووضعها فى كتاب.. كتاب سوف يكشف عن روائع الكون الذى خلقه الله. وسأهدى هذا الكتاب لأكاديمية لينكس، رمزاً لنصرنا الساحق على الجهل والظلمات. [يوقع شيسى بعرض على أعضاء الأكاديمية توقيع جاليليو بفخر).

فابرشيوس : فلنشرب نخب جاليليو!

ألدوبرانديني : ونخب تلسكوبه!

فابرشيوس : ونخب كتابه الجديد في علم الفلك.

شيسي : ونخب حرية العلم وحرية الفكر! [يعطي إشارة للخادم فيمر بالشراب الذي كان قد تم صبه من قبل في الكؤوس. يدخل الكونت موروسيني بسرعة مضطربا. في اللحظة التي دخل فيها يلتفت الجميع] ما الأخبار، كونت موروسيني؟

موروسيني : أحسن الأخبار ليس إلا. سوف يلتقي الجمع في قصرك يا ساجريدو. وبعد أكل الفاكهة والمحادثات الودية، سيدعى الضيوف للخروج إلى الشرفة.. (إلى جاليليو) حيث تكون تلسكوباتك في انتظارهم.

شيسي : هل سيحضر الجميع؟

موروسيني : طوفان ... سيحضرون. ها هي القائمة. الأشخاص المهمون الذين قبلوا الحضور. والآخرون يخشون أن يبقوا بالخارج [يريه قائمة الأسماء].

ساجريدو : (بعد إلقاء نظرة سريعة) رائع! [يتجمهر بعض الأشخاص حوله] والكاردينال بلارمن.. ألن يحضر؟

موروسينى: ربما يحضر.

ساجريدو: لابد أن نبذل ما وفى وسعنا للتأكد من حضوره.

شيسى: الكاردينال بلارمن هو رجلك.

جاليليو: لكن من هو..؟ لا أعتقد أننى أتذكره تماماً؟

فابرشيوس: إنه أعظم عالم لاهوت منذ القديس توماس الأكوينى.

ألدوبرانديني: رجل نظيف اليد!

موروسينى: فى الوقت الذى سعى فيه آخرون لدخول الكنيسة وبناء ثرواتهم العائلية، رفض بلارمن منصب البابا.

جاليليو: رفض منصب البابا؟ لماذا؟

موروسينى: حتى يتركوه حراً وبعيداً عن كل تلك الواجبات المدمرة ليتفرغ لشىء واحد.

جاليليو: ما هو؟

شيسى: محكمة التفتيش.

فابرشيوس: رجل يضع نصب عينيه توجهاً واحداً... خلاص النفوس المسيحية.

ساجريدو: من خلال محكمة التفتيش، تكون لديه القوة ليبسط نفوذه ويجعل من خلاص النفوس المسيحية، سيفاً مسلطاً على رقاب العباد، سواء قبلوا أم رفضوا.

قابرشيوس: (ملتفتا إلى ساجريدو بضراوة هادئة) أينبغي أن تحول كل شيء للسخرية من الكنيسة؟

شيـمى: [يتحوك بدبلوماسية. ليخفف التوتر بين ساجريدو وفابرشيوس] هيا لنشرب النخب! سيد جاليليو، ترى ماذا ستكون عليه الأمور؟

جاليليو: طالما نحن على أعتاب عالم جديد، فليكن النخب «للعالم الجديد». الجميع فى صحة العالم الجديد!. • يشربون. يسود جو عام من البهجة والضحك والإثارة. ساجريدو ينتحى بجاليليو جانبا. تتركز الإضاءة عليهما، بينما تتلاشى من على الآخرين، الذين ينتقلون إلى المشهد التالى.

ساجريدو: الأمور تمضى بطريقة لا بأس بها. من الممكن أن ننجح. ها هى قائمة بأسماء الأشخاص المدعوين. خذ بالك من الكاردينال باربريلى. مافيو باربريلى. رجل فى غاية الأهمية.

[جاليليو وساجريدو ينتقلان إلى المشهد التالى عندما تضاء الأنوار على شرفة قصر ساجريدو، المشيد فوق تل يشرف على

روما. يتم التمثيل فى هذا المشهد فى أماكن متعددة، الأشخاص الموجودون هم: جاليليو، ساجريدو، شيسى، الكاردينال مافيو باربريلى، فابرشيوس، موروسيلى، ألدوبرانديلى، الكاردينال زوشيا، الكاردينال فيروسبى، أسقف فيسنا، كبير أساقفة نابولى يقوم جاليليو بمساعدة المجاميع التى تتحلق حول التلسكوبات الأربعة، فى التطلع من خلالها. المجموعة الأولى والثانية توجه التلسكوبين ناحية السماء، والمجموعة الثالثة توجهه ناحية الموجودين، وبنايات روما على بعد ميل، أما المجموعة الرابعة فالتلسكوب الذى نتحقق حوله لا يعمل. المجموعة الأولى تتكون من الكاردينال ماڤيو باربرينى، الذى يتطلع إلى السماء خلال التلسكوب، والكاردينال زوشيا الذى يصيح بعدم صبر).

الكاردينال زوشيا: (من المجموعة الأولى) كفاك تطلعا فى التلسكوب يا باريريلى أعطنى فرصة للنظر، يا باربرينى.

الكاردينال باربرينى: (من المجموعة الأولى وهو يتطلع بعناية) مجرد دقيقة أخرى.

الكاردينال زوشيا: يعتقد المرء أن هذا كان جزءاً من رسالتك.

الكاردينال باريرينى: كم كنت أتمنى أن يكون الأمر كذلك. أود أن أستلقى على ظهرى ولا أفعل شيئا سوى تأمل السماء.

الكاردينال زوشيا: أو توجه عينيك تجاه الأرض، وتتأمل مالا ينبغى عليك تأمله.

الكاردينال باريرينى: فكرة ساحرة! وأبتهج بشئون الأرض، بعد أن أتعب من تأملاتى السماوية.

الكاردينال زوشيا: لكن ذلك ليس جزءاً من رسالتك! دعنى أنظر! (الكاردينال باربريلى يتحرك جانبا على غير رغبة منه، ويلحلى زوشيا ليتطلع)

جاليليو: (إلى المجموعة الرابعة، التى لا تعرف كيفية استخدام التلسكوب) يا صاحب النيافة، لابد أن نفك هذا الشريط أولاً، بعدها تنفتح العدسة.

الكاردينال فيروسبى: (من المجموعة الرابعة) شكراً يا سيد جاليليو. (يبتعد) أسقف فيستا، (المجموعة الثالثة. يلحلى فوق التلسكوب المتجه ناحية الأرض) أستطيع قراءة الحروف المكتوبة على واجهة المبنى (يتهجى حروف الكلمة الأولى) و م ن ى م.

كبير أساقفة نابلى: (من المجموعة الثالث فى لهفة) دعنى أرى.

أسقف ڤيستا: (يتهجى حروف كلمتين) أ. ر. ب س. ت.

كبير أساقفة نابولى : (بلوع من التوبيخ) أعتقد أنه من غير اللائق أن يتخطى أسقف كبير أساقفة! (يتراجع فيستا بعيداً عن المنظار) . أشكرك. (يحملق كبير الأساقفة بابتهاج شديد) شىء مذهل! كما لو أننى أقف أمام المبنى! و م ن ى م.

جاليليو: (مقتربا منهم) أيها السادة المبجلون، تطلعوا إلى السماء. أما مبانى روما فيمكنكم رؤيتها بالعين المجردة.

كبير أساقفة نابولى : إذا كان بإمكان المرء قراءة هذه الكتابات، فأعتقد أن بإمكانه رؤية القمر والكواكب إذا استخدم نفس التلسكوب، وليس هناك مجال للخديعة. سوف نواصل تقدمنا بأسلوبنا الخاص.

جاليليو: (مقتربا) عظيم جداً، أيها السادة المبجلون.

الكاردينال باريرينى : (الذى كان فى طريقه إلى جاليليو، وهما الآن وجها لوجه) تهانى! كل شىء بالضبط كما قلت.

جاليلو: شكرا، كاردينال باربرينى.

الكاردينال باريرينى : لكن .. رغم إعجابى بجوبتر وتوابعه، وذلك الجمال السماوى الرائع المحتشد، إلا أننى لا أستطيع إخفاء دهشتى البالغة لقيامك بالتوفيق بين تلسكوبك والكتاب المقدس.

جاليليو: لم أقابل أى صعوبة.

الكاردينال باربريني: كيف؟ أم أنك تقصد تقديم عقيدة مزدوجة الحقيقة.

جاليليو: مزدوجة الحقيقة؟!

الكاردينال باربريني: نعم. فهناك حقيقتان متناقضتان، تتعايشان جنبا إلى جنب.. إحداهما عقائدية والأخرى علمية. كلاهما صحيح بالنسبة لمقولته، غير صحيح بالنسبة للآخر.

جاليليو: مثل هذا التلاعب النظرى هو ما يحيرنى.

الكاردينال باربريني: المسألة فى منتهى البساطة حقيقة، إذا ما توصلت إلى كلهها. (يضحكان).

ألدوبراندينى: (من المجموعة الثانية. مناديا) جاليليو، هل من الممكن أن توجه التلسكوب ناحية ڤينوس.

جاليليو: بكل سرور. (إلى الكاردينال باربريني أثناء توجههما إلى التلسكوب الثانى) كان من المفروض أن أحضر الست تلسكوبات.

الكاردينال باربريني: هذا العدد يكفى بالكاد.. أين التلكسوبان الآخران؟

جاليليو: واحد فى أكاديمية لينكس.

الكاردينال باريرينى: هل تعلم أننى عضو فى أكاديمية لينكس؟

جاليليو: لكنى لم أرك فى الإحتفال.

الكاردينال باربرينى: واجبات دينية. لكن أين التلسكوب الآخر؟

جاليليو: فى الكلية الرومانية. اليوسعيون يقومون بالمشاهدة وحدهم. (يوجه التلسكوب ناحية ڤينوس يسود صمت أثناء قيام جاليليو بضبط التلسكوب. تثبت الشخصيات فى أماكنها، وتتحول الإضاءة إلى منطقة أخرى من المسرح حيث نرى الكاردينال روبرت بلارمن يتحدث إلى الأب كلافيوس واثنين من الكلية الرومانية).

الكاردينال بلارمن: أيها الأخوة فى المسيح، دعونى أعرف رأيكم السديد فى النقاط التالية. أتوافقون على أن هناك عدداً من النجوم الثابتة يمكن رؤيتها بالعين المجردة وكذلك بواسطة التلسكوب؟ أتوافقون على أن كوكب ڤينوس له أطوار متغيرة مثل أطوار القمر؟ أتوافقون على أن سطح القمر غير منتظم وغير مستو؟ أتوافقون على أن كوكب جوبتر تحيطه أربعة نجوم سيارة؟

الأب كلافيوس: كاردينال بلارمن، لقد صدَّرت كل سؤال من أسئلتك بكلمة «أتوافقون». فهل تتكرم بأن تبصرنا بمعنى كلمة «أتوافقون»؟ هل هى ذات دلالة علمية أم دلالة كهنوتية؟

الكاردينال بلارمن: لقد استخدمتُ هذه الكلمة عن عمد. الدلالة المقصودة دلالة عقائدية. وباعتبارك مسئولا علميا فى الكلية الرومانية، فإن إجاباتك ستكون إجابات علمية خالصة. أما بالنسبة لى.. كعضو فى المحكمة المقدسة، فإن الإجابات العلمية الخالصة، لا تتوافق معى. وبالتالى فإن رأيك سيؤخذ من جانبنا بشكل كهنوتى.

(تسلط الإضاءة على أعضاء الكلية الرومانية، بينما تتركز حزمة ضوئية قوية على الكاردينال بلارمن وهو يتجه نحو راهب من طائفة الدومنيكان يرتدى عباءة وقلنسوة) أيها الكاتب، افتح سلفاً للمدعو جاليليو جاليلى، عالم فلكى، ولنتأكد عما إذا كانت له علاقة مع أى أحد أُتهم بالهرطقة.

(تتلاشى الإضاءة تماماً من على هذا الجزء من المسرح وتعود على مشهد الشرفة كما من قبل. الشخصيات حرة الحركة).

أسقف فيستا: (ينضم إلى المجموعة الرابعة، يتوجه

بالحديث إلى الكاردينال فيروسبى الذى يهز أسطوانة التلسكوب المتعطل) انتبه فربما يسقط منه شىء!

الكاردينال ڤيروسبى: هل ترى أى شىء؟ ألا ترى نجما أو اثنين يبدوان من خلال التلسكوب بشكل فلى رائع؟ (أسقف ڤيستا ينظر فى الطرف الآخر للتلسكوب. يقومان بخفض التلسكوب ويواجهان بعضهما. أسقف ڤيستا يهز التلسكوب، وهو لا يزال غير مصدق) لا شىء! لا شى على الإطلاق! مجرد عدسات وأسطوانة فارغة!

الكاردينال فيروسبى: لا بأس، دعنا نعيده إلى وضعه ونتطلع إلى قمر جاليليو. (يبدآن فى تعديل وضع التلسكوب).

جاليليو: (يعدل وضع تلسكوب المجموعة الثانية، ثم إلى ألدوبراندينى) إنه الآن موجه إلى كوكب ڤينوس.

ألدو براندينى: شكرا. (يشير إلى أحد الكاردينالات لينظر خلال التلسكوب)

الكاردينال باريرينى: (يستأنف نقاشه مع جاليليو) لكنك إذا لم تقدم بشكل جاد إنجازاً ذا حقيقة مزدوجة، فكيف يمكننا أن نوفق بين إكتشافك الفلكى الجديد وبين الكتاب المقدس؟

جاليليو: كرجل متخصص فى العلم لا أستطيع أن أقرر إلا ما أرى.

الكاردينال باربرينى: لكن إذا كان ما تراه يتعارض مع مبادىء الكنيسة يا جاليليو، فماذا يكون الموقف إذن؟

جاليليو: الكتاب المقدس يرشدنا إلى كيفية الصعود إلى السماء، لكن ليس كيف تنتظم أمور السماء.

الكاردينال باربرينى: أنت لم تجب على سؤالى بعد. لو أن ما رأيته يتعارض مع مبادىء الكنيسة، فلأيهما. تكون الأفضلية؟ [يصمت جاليليو] هل يتحتم على الكنيسة أن توفق بين الكتاب المقدس والطبيعة؟

جاليليو: (بصوت خفيض) نعم.

الكاردينال باربرينى: (بقلق) جاليليو، أنت تطأ أرضا خطرة.

جاليليو: أرجو أن نضع فى الاعتبار أن الكتاب المقدس هو كلمة الله؛ وأن الطبيعة صنع الله. والطبيعة ثابتة، بلا تغيير من أى نوع. أما كلمة الله فمكتوبة بشكل مجازى. وتحتمل تفسيرات عديدة.

الكارينال باربرينى: هذه حقيقة مؤكدة بلا شك. وبعد؟

جـاليليـو: وهكذا، فطالما هناك تفسيرات عـديدة للكلمـة، والصـانع واحـد، والإثنان جـزء من ذات الحـقيـقـة، ولا يمكن أن يتعارضا، وبالتالى أفلا تكون الكلمة صنعت لتكون مطابقة للفعل؟

الكارديـنال باربرينى: (بإعجاب ساخر) أنت تبرر الأمور مثل اليعاقبة. لقد فقدت الكنيسة خادماً مخلصاً، عندما تحولت إلى العلم.

جاليليو: يا صاحب النيافة، أنت تخطئ فى تفهم الروح التى أتكلم بها.

الكارديـنال باربرينى: إن فى جدالك وجهة نظر. نعم. نعم. لكن تبريرك لها مثل أسلوب اليعاقبة.

جاليليو: لا داعى للسخرية منى! هذا الرأى نابع من صراع أفكارك.

الكاردينال باربرينى: (باهتمام حميم) أنا أدرك أنك مؤمن بما تقول. لكن رجال اللاهوت يا جاليليو، أكدوا منذ مئات السنين أن العلم يجب أن يكون متوافقا مع تعاليم الكنيسة، والآن أنت تطالب بالعكس .. بمعنى أنه مع كل اكتشاف علمى جديد، تقوم الكنيسة بالتوفيق بينه وبين الكتاب المقدس.

جاليليو: لماذا تثقل الكنيسة نفسها بنتائج علمية، ربما يثبت زيفها فيما بعد؟

الكاردينال باربريني: أنا لا أود أن أكون مثل البابا الذى تكون مهمته مجرد توفيق الكتاب المقدس على ضوء اكتشافاتك الفلكية أو يقوم بما هو أسوأ من ذلك، أن يفاضل بينهما.

جاليليو: مثل هذا الأمر، لن نكون فى حاجة لأن يحدث على الإطلاق.

الكاردينال باربريني: (بوقار) أدعو الله ألا يحدث [يدخل الكاردينال بلارمن] أهلا، كاردينال بلارمن.

الكاردينال بلارمن: مساء الخير، باربريني [يتوافد عدد من الشخصيات الموجودة تجاهه، لأنه شخصية جديرة بالاحترام].

جاليليو: (ينتهز الفرصة) كاردينال بلارمن، هل تتفضل بالنظر. [ويقوده ناحية التلسكوب].

الكاردينال بلارمن: شكرا، يا بنى، فقد تطلعت بالفعل خلال أحد تلسكوباتك، وأنا أنتهز الفرصة لأبدى إعجابى الشديد بك كعالم فلكى أكثر من ممتاز.

جاليليو: نظرت فعلا؟ أين...؟

الكاردينال بلارمن: فى الكلية الرومانية.

جاليليو: هل رأيت...؟ [يُقاطع برد بلارمن].

الكاردينال بلارمن: أنا لم أقرر بعد.. ماذا رأيت.

جاليليو: لم تقرر بعد؟

الكاردينال بلارمن: يا بنى، ليست كل حقيقة، حقيقة خالصة، فالإحساس بوجود الحاضرين ليس نتيجة منطقية يمكن استخلاصها من الحقيقة نفسها.

جاليليو: أفهم.

الكاردينال بلارمن: دعنا نكمل هذا النقاش فيما بعد، سأنتظرك غداً فى مكتبى. (يتحرك إلى منطقة مشهده).

الكاردينال باربرينى: (إلى جاليليو) إذا نَجحتَ فى كسبه إلى صفك فقد كسبت الكنيسة كلها.

(ينتقل جاليليو إلى المشهد التالى فى حين تخرج الشخصيات الأُخرى فى الوقت الذى تتركز فيه الإضاءة على مكتب الكاردينال بلارمن فى قصر محكمة التفتيش. فى الخلفية الراهب الدومنيكى كاتب المحكمة، مشغول بالتدوين).

الكاردينال بلارمن: كلا، يا جاليليو: فبصفتى رئيس المحكمة المقدسة، أعتقد بألا أمل هناك. الكنيسة لن توافق على اكتشافك الفلكى. فالمذهب الكاثوليكى مرتبط بتعاليم أرسطو.

جاليليو: لكن كل ما أطلبه يا سيدى، شهادة الكنيسة رسميا بما شاهدته من برهان، وهذا لن يضير الكنيسة الأم بأى حال من الأحوال!

الكاردينال بلارمن: أما زلت تعتبر هذا سؤالا علميا خالصا؟

جاليليو: أليس كذلك؟

الكاردينال بلارمن: الاعتبارات العلمية شىء ثانوى.

جاليليو: كيف يتسنى ذلك، يا صاحب السعادة؟

الكاردينال بلارمن: خلال تطور المسيحية، أصبح من الضرورى أن نتبنى تصوراً واحداً إزاء العالم. وقد وجد آباء الكنيسة فى نظرية أرسطو تطابقا كبيرا مع روح الكتاب المقدس. ومنذ مئات السنين أصبحت نظرية أرسطو الفلكية والتصور الكهنوتى المسيحى للكون شيئاً واحداً، ثم تأتى أنت الآن لتقول: «بأن النظام السماوى القديم نظام زائف. وسوف أقدم لكم النظام الحقيقى». (بلطف) من المحتمل أن يكون الأمر كذلك... لأننى أحترم إنجازاتك العلمية وأنت شخصيا رجل عظيم.

جاليليو: شكراً.. نيافتكم تعلمون بالتأكيد إلى أى مدى أقدر ذلك.

الكاردينال بلارمن: لكن إهتمامى لا يكمن فى صحة أو زيف نظامك. إنما أريد أن أسألك سؤالاً واحداً ماذا يمكن أن يحدث لنظام تعليمنا المسيحى لو أن نظامنا المتعلق بالسماء إنهار وحل مكانه نظامك الجديد؟ الجواب هو: إنهيار مصداقية الكنيسة!

جاليليو: يا صاحب النيافة!

الكاردينال بلارمن: ستحول الكنيسة فى العالم كله إلى كنيسة تافهة، تائهة فى الفضاء.

جاليليو: صاحب النيافة!

الكادرينال بلارمن: هل تظن أننى أبالغ؟ ماذا سيحدث لكل هؤلاء البشر الذين نشأوا على الإيمان بأن هذا العالم إنما خلق من أجل الإنسان.. الذى يلقى إهتماماً خاصاً من الله؟ من المحتم أنهم سيشعرون بالخديعة وقلة الشأن، وعدم الأهمية. ولابد أن يقوموا بثورة روحية. وستصبح الهرطقة والإرتداد عن العقيدة والإلحاد هى سمة العصر، سوف تفجر ثورة روحية،

جــاليليــو: (يضع كـفـيـه على أذنيـه.. ثم بمعاناة شديدة) أرجوك، يا كاردينال بلارمن!

الكاردينال بلارمن: يمكنك أن تصرخ محتجا على.. لكن هل تعتقد أن صوتك سيدفعنى إلى الصمت الذى يدفع بى إلى تغيير رأيى بتميز اكتشافاتك؟ إن سماء أرسطو وسماء الكنيسة .. إذا انهارت إحداهما فلابد أن تنهار الثانية. وهذا ما لن نسمح به أبداً.

جاليليو: (مصدوما) يا صاحب النيافة، لقد أشعلت تواً حرباً أهلية بداخلى، سوف تنتهى بتدميرى!

الكاردينال بلارمن: (بلطف) كلا. لا حرب ولا تدمير. أيهما أثمن لديك، علمك الفانى أم روحك الخالدة؟!

جاليليو: هل ذلك هو الإختيار؟

الكاردينال بلارمن: وماذا غير ذلك.

جــاليليــو: كلا... لا ينبغى أن يكون ذلك هو الإختـيـار. (بحماس) سيكون من أمجاد الكنيسة الخالدة أن تعلن عن.. عن هذا الإكتشاف العملاق، ووجهة النظر السامية هذه، التى تشير إلى عدم محدودية الكون الذى خلقه الله. فكر! أنت وأنا، نستطيع بقوة خيالنا وأفكارنا التى تتجاوز أقصى أبعاد الفضاء، أن نربط العالم

بقانون واحد نبيل. ولو استطعنا أن نثبت هذا المفهوم، لأصبح الإنسان كيانا ثمينا.. ساعتها ستكون نظرية أرسطو خطأ ونظريتى على صواب!

الكاردينال بلارمن: [بسخرية، وليس فى مداعبة] يا بنى، الحقيقة نوع من الخيال الفلسفى. قدم لى بيانا تقريريا وسوف أتبين صحته أو زيفه، بما يتوافق مع مصلحة الكنيسة الأم.

جاليليو: (بدبلوماسية) أنت تعلم يا صاحب النيافة، كم أقدر بشكل كبير دراستك اللاهوتية.

الكاردينال بلارمن: عندما يكون خلاص الروح من الأهمية بمكان، فإن تعاليم الكنيسة تقتضى عدم وجود حقيقة مطلقة. صحيح أن هناك جانبا من الحقيقة بالنسبة لما هو خير وما هو شر. وسواء كان الأمر حسنا أو سيئا، فإن آباء الكنيسة ألزمونا بنظرية أرسطو الفلكية، فإذا قمنا بتغييرها الآن، فإن العالم سيواجه حالة من الفوضى. وبناء على ذلك، لن يكون هناك تغيير. (بكياسة وتعاطف مريح تجاه جاليليو) لقد سمعت نصحى. سوف تطيع وتتخلى عن رأيك.

جاليليو: (مصدوما وبصوت خفيض) سأطيع.

الكاردينال بلارمن: الآن أنا سعيد... وإلا لكان الأمر تطور بالضرورة إلى ما هو أسوأ من ذلك. الإنذار. أو السجن.

جاليليو: كاردينال بلارمن! إن خلاص روحى ليست مسألة بسيطة! لقد جئت إلى روما لكى ألتمس المبرر العلمى، ولأدافع أيضاً عن إسمى الكاثوليكى. ولم يتطرق إلى ذهنى فى أى وقت من الأوقات أى نزوع إلى عدم الطاعة.

الكاردينال بلارمن: أنا مسرور، يا بنى! وكم أود أن أعتذر عن استخدام مثل هذه الألفاظ الصارمة. لقد أصبحت عزيزاً لدى. (باعزاز) جاليليو، إن أعداءك ينشرون إشاعة كاذبة بأنك سوف تستجوب أمام محكمة التفتيش لإجبارك على التخلى عن رأيك.

جاليليو: (مضطربا) ماذا؟!

الكاردينال بلارمن: حتى تستطيع أن تحمى حقوقك، وحتى لا يكون هناك أى سوء فهم، سوف أعطيك مذكرة، تحيطك علما بما يمكنك فعله أو عدم فعله. حافظ عليها جيداً يا جاليليو. فربما تحتاجها فى المستقبل. (يناولها له).

جاليليو: سأفعل.

الكاردينال بلارمن: وتذكر... ككاثوليكى، أن حقك فى

الرأى محدود، وهذه المذكرة تحدد بوضوح هذه المحدودية، لكن فى حدود شروطها أنت حر.

جاليليو: [يتفحص المذكرة بسرعة. ثم بنوع من الأمل] هذه الوثيقة تحدد الفرق فى النظرة إلى نظرية كوبرنيكس باعتبارها فرضية علمية، وفى النظرة إليها باعتبارها حقيقة.

الكاردينال بلارمن: بالتأكيد. لم يحدث إطلاقا أن كان هناك خلاف حول هذه النقطة.

جاليليو: أنا أعتبرها فرضية علمية.

الكاردينال بلارمن: لكن بتحفظ.

جاليليو: كاردينال بلارمن، أيمكننى أن أطلب منك أن تفسر الهوة الشاسعة بين الفرضية العلمية والحقيقة؟ ولماذا تسمح الكنيسة بالأولى ولا تسمح بالثانية؟

الكاردينال بلارمن: إذا اعتبرناها حقيقة، فلابد للناس أجمعين أن يعلموا بها. وبالتالى ستثير الكثير من الجدل والتخبط فى الآراء، الذى سيعود فى النهاية بالضرر على الكنيسة.. أما باعتبارها فرضية علمية، فمن ذا الذى سيسمع عنها؟ ستكون قاصرة على قلة من الدارسين هنا وهناك، الذين سيتعاملون معها

بشكل رياضى إذا دعت الحاجة لذلك. وسيكون الأمر بالنسبة للجماهير العريضة مجرد لهو يقوم به العلماء وخزعبلات فلكية.

جاليليو: مقصورة على.. لكن من الضرورى الحصول على إذن من الكنيسة باعتبارها فرضية علمية؟

الكاردينال بلارمن: كفرضية علمية، نعم. سوف تقدم الكنيسة السماح لعلماء الرياضيات والعلماء بممارسة حقهم العقلى.

جاليليو: شيء آخر يا صاحب النيافة، قبل إنصرافكم.

الكاردينال بلارمن: بالتأكيد.

جاليليو: صاحب النيافة، تحدث عن جموع الناس. فهل أنت مقتنع بأنهم لن يسمعوا عنها ويعايشوها؟

الكاردينال بلارمن: أنا على يقين من ذلك إلى أبعد حد. لكن من المفيد جداً أن نحرسهم ونحميهم من تلك المعرفة الثمينة التى ستضر بهم.

جاليليو: متى سيكون الناس مستعدين لتقبل الحقيقة؟

الكاردينال بلارمن: لن يحدث أبداً.

جاليليو: أبداً؟!

الكاردينال بلارمن: ربما فى المستقبل البعيد.

جاليليو: ولماذا لا يكون المستقبل الآن؟

الكاردينال بلارمن: أنت عديم الصبر، يابنى. تريد أن يحدث كل شىء أثناء حياتك. لا داعى لاستعجال قضاء الله.

[يستدير ليخرج، يتحرك جاليليو للدخول فى المشهد التالى، تتركز الإضاءة على اجتماع أكاديمية لينكس. الحضور هم: ساجريدو، شيسى، أندوبراندينى، سيزارى، موروسينى، جاليليو، فابرشيوس، والكاردينال باربرينى. يسود المكان مسحة من الوجوم، والإحباط.

شيسى: السادة الأفاضل، منذ ثلاثة عشر عاماً قمنا سوياً بتأسيس وإنشاء أكاديمية لينكس. عملنا بجد وإصرار، إنتظاراً لكشف عظيم أو اختراع فذ، يلهب خيال الناس ويوجه أنظارهم فى أحقية تطور العلم بشكل مستقل. انتظرنا ثمانية أعوام. ثم إرتج العالم بأخبار التلسكوب. وهذه فرصتنا التى وهبتها السماء لنا. (يتنهد بعمق) لكن سرعان ما إتضح لنا، أنه لكى نكسب معركة التلسكوب، فلابد أن نكسب معركة حرية الفكر. أيها السادة الأفاضل، إن هذه الفرصة الرائعة التى أنشئت أكاديمية لينكس من أجلها قد ضاعت.

فبعد إعتراض الكاردينال بلارمن، لا يمكن أن يتعامل جاليليو مع إكتشافه كحقيقة علمية، بل كفرضية علمية. لقد ضعنا. (يغلبه الانفعال فلا يكمل). الدوبرانديني: ليس بعد! فلدينا الكثير.

ساجريدو: نحن نعلم المصير المؤلم الذى انتهى إليه تقرير الأمير شيسى، ونحن نقدر مدى حزنه العميق. رئيس الجلسة سيقدم إقتراحا بأن تقبل التقرير برمته.

سيزارى: لا بأس بذلك.

الدوبرانديني: موافق.

ساجريدو: هل هناك معارضة؟ (صمت) إجماع!

الدوبرانديني: هل يسمح لى سيادة الرئيس؟

ساجريدو: تفضل.

الدوبرانديني: إذا كنا قد خسرنا هذه المعركة، فهناك معارك أخرى. بالإضافة إلى أن لدينا الكثير من الأمور فى صفنا. ففى العام الماضى فقط نشر سيزارى كتاباً، ونشر ساجريدو بحثاً ممتازاً.

ساجريدو: هل يريحيلى أحد من رئاسة الجلسة؟ فأنا أريد أن أشارك فى هذه المناقشة. الكونت مورروسيلى؟

موروسيني: بكل سرور. (همهمات موافقة. موروسيني يجلس على المنصة ٢ بينما يجلس ساجريدو مع باقي الأعضاء يرفع يده طالبا الكلمة. موروسيني يعطيه الكلمة

ساجريدو: هل يمكنني أن أتحدث إلى ألدوبرانديني مباشرة [موروسيني يهز رأسه بالموافقة . ساجريدو إلى الدوبرانديني: لقد ذكرت أثناء حديثك كتاب سيزاري. وهذا شيء هام جداً.. لكن مع كل الاحترام والتقدير لسيزاري، فإن كتابه غير معروف تماماً. يقبع في هدوء فوق أرفف خمسين أو مائة مكتبة خاصة، ولا يعرفه سوى العلماء، لكن بالنسبة لبقية العالم، فهو قاصر على فئة معينة.

جاليليو: قاصر! نفس الكلمة التي استخدمها الكاردينال بلارمن

ساجريدو: (إلى الدوبرانديني بغضب وعنف). إن بحثي عبارة عن مجرد بحث في تشريح الحيوانات الرخوية. هل ينبغي علينا، حتى يكون لنا الحق في عرض اكتشافاتنا العلمية أن نعرضها بطريقة درامية، بغض النظر عن النتائج النظرية، لبحث بعنوان «تشريح الحيوانات الرخوية الموجودة حول التكوينات الصخرية في الساحل الشمالي لجزيرة كورسكا؟». نحن في حاجة

إلى موضوع فريد ومثير مثل التلسكوب... شيء مثل التلسكوب أو ما يعادله لا يحدث إلا مرة كل ألف عام! إن الأمر متاح لنا فى هذا المكان لخوض المعركة. لقد حاربنا، لكننا هزمنا، لقد خسرنا معركة حرية الفكر.

سيزارى: (بعد أخذ الكلمة. صائحا فى غضب) يجب علينا أن نشكر الكاردينال بلارمن من أجل ذلك.

(يجلس. همهمة خافتة تعلن موافقتها. يتبعها أصوات غاضبة كالآتى: «هذا صحيح». «هو مخطئ». «هذه إهانة». «هذه وقاحة».!

ساجريدو: (بعد أخذ الكلمة) كوننا نعزو هزيمتنا إلى سطوة هذه الكنيسة أو تلك، فإن هذا يحد من أفق الصراع. وإذا لم يكن الكاردينال بلارمن، فمن الممكن أن يكون شخصاً آخر من بين أعضاء الكنيسة.

فابرشيوس: (ينهض غاضبا، ويخاطب ساجريدو مباشرة) هل تعنى ضمناً أن كنيستنا الأم هى عدونا؟

ساجريدو: لم تسمح لك المنصة بالكلام.

فابرشيوس: (إلى مورسيلى) سيدى الرئيس. (يسمح له، ثم يشير إلى ساجريدو) هل تسمح لى بمخاطبته مباشرة.

مورسينى: ممكن.

فابرشيوس: هل تعنى ضمناً أن كنيستنا الأم هى عدونا؟

الكاردينال بلارمن: سيدى الرئيس. (يسمح له بالكلام. بصوت حريرى) دعونى أؤكد لسعادة السفير نيكوليلى، أن بإمكانه التحدث بحرية كاملة. عندما أشارك فى اجتماع أكاديمية لينكس، رغم أننى لا أخلع ردائى الكهنوتى، إلا أننى أترك مبادئى الكهنوتية فى الردهة الخارجية.

ساجريدو: ينبغى على أن أقول ما ينبغى على قوله حتى لو كان الكاردينال بلارمن موجوداً فى هذه القاعة. الكنيسة تحدد للعلم ما يقوله، «هذا مباح.. وذلك غير مباح» ورغم أن علاقة الإنسان بالعالم المادى تتغير كل يوم، فإن الكنيسة فى عزلتها المجيدة، لا علاقة لها بذلك. الكنيسة تقول «سوف أتحكم فى العلم بالمراسيم». العلم بالمراسيم ليست روما هى التى ستثبت أن الأرض لا تدور. فالناس جميعا فى العالم لن يستطيعوا إيقاف دورانها، ولا منع أنفسهم من الدوران معها! (**همهمات**: «هذا صحيح». «سيدى الرئيس». «هدوء». «كلا. كلا». «إنه على خطأ». «إلى متى [illegible] نجرؤ؟».)

فابرشيوس : سيدى الرئيس! سيدى الرئيس!

ساجريدو: أنا لم أنته بعد.

فابرشيوس : لقد خرج عن النظام!

ساجريدو: لماذا لم تتواصل الكنيسة مع ذلك؟ لأن قبولها الضمنى للتلسكوب، يعنى بالضرورة محو جاهلية الـ...

فابرشيوس : جاهلية؟!

ساجريدو:.. جاهلية الكاثوليكية.. الأعمال السحرية، المعتقدات المتوارثة، رشوة الرب والمسيح بإضاءة الشموع وتقديم قطع الذهب. (يقاطع ساجريدو بالكلمات التالية: «أنا أحتج». «هدوء». «أسكت». «دعوه يتكلم». لكنه يتغلب عليهم) ذلك يعنى بالضرورة محو كل هذه الخزعبلات المتفشية، وتحل محلها مفاهيم أكثر توافقاً مع كرامة الإنسان. [يقاطع ساجريدو ثانية] «هل يقبل الكاردينال بلارمن ذلك.» «لا تعيروه سمعكم!». «تجديف فى حق الله». [مازالت الكلمة معه.» يتغلب عليهم ساجريدو] إلى من نعهد بهذه القيم النبيلة؟ إلى أئمتنا؟ الذين كان لهم فضل سيادة هذه الجاهلية.

(تسود الفوضى فى الاجتماع. صيحات من العديد من الأعضاء)

الأعضاء: لقد خرج عن النظام. هدوء. سيدى الرئيس. سيدى الرئيس. أسكت. إنه لم يتطرق إلى صلب الموضوع. ما الذى يقوله؟ ما زالت الكلمة معه. اصغوا إليه. أريد الكلمة. إنه على حق. سيدى الرئيس. من يظن نفسه؟ وغد. مجدف. دعوه يكمل. اسمعوه للنهاية أنا أحتج. نحن علماء ولسنا رعاعاً. كيف تجسر؟.

(تزداد الصيحات. تدق أجراس الكنيسة، معلنة صلاة التبشير. يسود الهدوء القاعة فجأة. يقوم الجميع فيما عدا ساجريدو برسم علامة الصليب، ويصلون. صوت الأجراس مستمر)

ساجريدو: لن أصلى!

الكاردينال باريرينى: (الذى لم يشارك فى النقاش، لكنه كان يراقب كل ما يجرى بعناية، هل ستتحول إلى بروتستانتى أمام أعيننا؟ (ساجريدو يهم بالرد غاضبا، لكنه يتراجع. الأجراس مازالت تدق. الجميع بمن فيهم شيسى وجاليليو يصلون.)

ساجريدو: المسألة واضحة.. أما أن يحكم العالم بواسطة العقل، أو بواسطة المراسيم. إن هذين المبدأين لا يمكن تجاهلهما. نحن فى حرب!

(يخرج الجميع فيما عدا جاليليو، بينما تسلط الإضاءة على فناء دير سان ماتيو فى أرشترى بالقرب من فلورنسا. بوليستا وهى الآن

الأخت ماريا شلسى. چب ينضم إلى جاليليو أثناء تحركه إلى منطقة الإضاءة. الوقت متأخر بعد الظهر. السماء مازالت متوهجة باللون الأحمر رغم غروب الشمس)

ماريا: [تجلس جاليليو وتضع أمامه وعاءً للطعام] لابد أن تأكل هذا الطعام. فقد أعددته بنفسى خصيصاً لك.

جاليليو: أنا لست جائعا.

ماريا: يجب أن تأكله. فهو مفيد لك.

جاليليو: (بطواعية) حاضر، أيتها الأخت (يتناول شيئا يلوكه بتأنى.)

ماريا: لقد توليت مسئولية الصيدلية مؤخراً، وقمت بإعداد قارورتين من الدواء لك. (تخرج لإحضار الدواء، يقوم جاليليو بإعطاء الطعام لچب بسرعة، فيضعه جانبا. تعود ماريا بقارورتين صغيرتين للدواء.) خذ هذه، القارورة الكبيرة حسب التعليمات، مع الإفطار. إنه مصنوع من التين الجاف وجوز الهند ومخلوط بالعسل الأبيض. [تبدو بعض التغيرات على وجه جاليليو] لابد أن تتناول الدواء كل صباح. فهو..

جاليليو: أعرف فهو مفيد لى.

مـــاريا: أما بالنسبة لهذه القارورة الصغيرة فبدون تعليمات. فهو مجرد دهان، تدعك به مفاصلك التى تؤلمك.

جـاليليـو: استعمال ظاهرى دون تعليمات.. استعمال عن طريق الفم، حسب التعليمات. ناوليه لچب. چب أرجو أن تذكرنى بتناول هذا الدواء الرائع يوميا.

چـب: [يهز رأسه بحيوية، ويحمل قارورة فى كل يد، ويكرر ما قاله جاليليو على سبيل النكتة] استعمال عن طريق الفم حسب التعليمات.. استعمال ظاهرى. (يضحكون)

جاليليو: (باهتمام) هل استلمت رسالتى؟

مـــاريا: هذا الصبـاح. أبى، ماذا يعنى أن يكون الكاردينال باربريلى هو البابا الآن؟

جاليليو: (بحماس) معناه، فجر يوم جديد للعلم.

ماريا: وهل ستزوره حقاً؟

جاليليو: بالطبع. فهو صديقى. تذكرين الشعر الذى كتبه على شرفى؟

ماريا: (تردد الشعر) يا عين جاليليو، يا نورنا الثاقب

حركى فكرنـا، عن سمائنـا القديمـة.

حتى يتلمس الفلاسفة العميان طريقهم ويتهتدون

فقد جعل جاليليو الكواكب تطير!

(ينضم إليها چب فى السطرين الأخيرين، وجاليليو فى السطر الأخير.) (يضحكون) متى ستذهب، يا أبى؟

جـاليليـو: غداً.. من المفترض هذا لو أنك انتهيت من المخطوط.

ماريا: أنت تعلم أننى! انتهيت من كتابته. (تخرج لإحضاره)

جـاليليـو: چب ضع التلسكوب على المنضـدة. (يضع چب التلسكوب ملفوفاً على المنضدة).

مـاريا: (تعود) انتهى. (تضع المخطوط على المنضدة) هذا العمل جعلنى لصيقة بك سبع سنوات. فبينما كنت أنت تكتب، كنت أقوم أنا بالنسخ.. تماماً كما كنا نعمل سوياً، جنباً إلى جنب. الآن وقد انتهى الكتاب، سأشعر بالضياع... (لا تكمل ما يدور بذهنها).

جاليليو: سوف نقوم بعمل آخر سويا. (يمسك الكتاب) فرضية علمية. كل شىء يعتبرونه فرضية علمية. لكن الآن وقد أصبح

الكاردينال مافيو باربريني هو البابا، فباستطاعتي أن أنقح هذا المخطوط... وأفند بوضوح جميع الاعتراضات.. وأقول للعالم «هذه حقيقة». (تتناول ماريا الربطة الملفوفة) افتحيها.

ماريا: (تفكها) أنه تلسكوب!

جاليليو: تلسكوب مُكمِلّ للكتاب. قضيت فيه نصف حياتي، والنصف الثاني وهبته لك.

ماريا: (تضع التلسكوب بجوار الكتاب) الكتاب أصغر، لكنه أكثر فاعلية.

جاليليو: هذا انجاز حياتي. خمسون عاماً من التفكير والدراسة والتجربة. لقد أنجزت للعالم ما ولدت من أجل أن أفعله. (يُسمع من بعيد صوت أجراس الكنيسة، بخفوت وجلال)

ماريا: نجومك بدأت في الظهور.

جاليليو: أنا أعرف أين هي، لكنني أجد صعوبة في رؤيتها. [تصدمه هذه الفكرة] أمن الممكن أن أصاب بالعمى؟

ماريا: لن يدعك الله تصاب بالعمى.

جيه: لقد رأيت كونه، وأظهرته للعالم.

ماريا: أصغر النجوم ستشهد لك بذلك. (تتطلع إلى السماء) جميلةٌ النجوم بالليل. كم يوجد منها فى السماء، يا أبى؟

جاليليو: كثير. كثير. ربما عدد هائل لا يمكن حصره.

ماريا: حتى بواسطة تلسكوبك القوى؟

جاليليو: سيأتى رجال بعدى يصنعون تلسكوبات أكبر من ذلك، وحتى الأكبر لا يمكن أن تُحصىٌ عدد النجوم. فدائماً ما ستكون هناك نجوم جديدة تُكتشف إن حجم الكون مفتوح.

ماريا: أبى، ماذا يوجد فيما وراء النجوم؟

جاليليو: الفضاء.

ماريا: وماذا فيما وراء الفضاء؟

جاليليو: مزيد من النجوم.

ماريا: وبعد ذلك مزيد من الفضاء. (جاليليو يهز رأسه) لكن أين توجد أبعد نجمة... بعد ما نجتاز الفضاء؟

جاليليو: لا يوجد ما يُسمى بأبعد نجمة.

ماريا: وأين ينتهى الفضاء؟

جاليليو: ليس له نهاية.

ماريا : ليس له نهاية، أوه، يا أبى.

جاليليو: لا تخافى يا عزيزتى. نحن لا نُقدَّرُ بواسطة حجم أرضنا. لكن بقدر ما نفهم أنفسنا. دعينا نواصل لتكون لدينا الشجاعة لكشف أسرار الطبيعة. فكل قانون جديد للطبيعة نتعرف عليه، سيكون بمثابة شاهد إثبات على عظمة الله اللامتناهية وحكمته.

ماريا : أحيانا أعتقد أن العلماء من خلال إدراكهم للطبيعة، بإمكانهم إدراك وجود الله مثل رجال الدين.

چيب : هذا صحيح تماماً، يا سيد جاليليو.

جاليليو: لا أستطيع أن أكون على يقين تماماً يا چيب. لكن ما أعلمه: أن الله قام بمعجزاته خلال طموح الإنسان المتسامى. [تسمع الأجراس ثانية] لابد أن أعيد كتابة مخطوط كتابى. بعدها يمكن أن استريح. سوف أحضر لزيارتك، ونجلس هنا بهدوء وسلام على هذه الأريكة، أقضى خريف أيامى. (ينهض نفسه. ثم بحيوية) لكن يجب على أولاً أن أذهب إلى روما وأحصل على تصريح باعتبار هذا المخطوط، ليس فرضية علمية، بل حقيقة

علمية. (يلتقط المخطوط) إلى روما.. إلى صديقى مافيو باربريلى، البابا الجديد!

[تتحرك ماريا وجب بعيداً، فى حين يتحرك جاليليو داخل المشهد التالى، حيث تسلط الإضاءة. هذا المشهد مشهد متشابك، فالمنطقة الأولى حجرة انتظار مقابلات البابا، أما المنطقة الثانية فهى حجرة البابا. جاليليو وساجريدو فى المنطقة الأولى حيث الإضاءة قوية. المنطقة الثانية معتمة إلى حد ما لكن يمكن رؤية الموجودين وهم البابا أربان الثامن، الكاردينال باربريلى سابقاً، وكارلو شقيقه الأكبر، وابنه فرانشيسكو البالغ من العمر ستة وعشرين عاما، والميجور دومو. تثبت هذه الأشخاص أثناء التمثيل فى المنطقة الأولى]

ساجريدو: وهكذا فأنت ترى أن وجود مافيو باربريلى على كرسى البابا، سينهى مشاكلنا القديمة وتتلاشى. لا أعتقد لا أعتقد!

جاليليو: (والمخطوط فى يده) ساجريدو، عندما أقابله، وبإشارة واحدة من يده، سوف يجلو العزيز مافيو طريقنا. بعدها سأقوم بإعادة كتابة هذا المخطوط كحقيقة علمية، وليس كفرضية علمية، وستتجلى الحقيقة.

ساجريدو: (يهز رأسه، ثم يتنهد) كان الله فى عونك وأنت فى تلك الحجرة. ستكون فى حاجة لعون الله عندما تقابل مافيو باربرينى وهو يجلس على عرش بيتر. (تظلم الإضاءة فى هذه المنطقة، وتضاء فى المنطقة الثانية. يثبت جاليليو وساجريدو)

البابا أريان الثامن: (إلى فرانشيسكو) أنت لم تعد مجرد شاب فى بيت باربرينى. وابن أخى. وبصفتى البابا، فسلطاتى تخولنى أن أعرض عليك عدة فرص.

كارلو: ما الذى تخطط له، يا أخى؟

البابا: أنت، يا كارلو، ستكون قائد الجيش البابوى

كارلو: عظيم.

البابا: وأنت يا فرانشيسكو، كم عمرك؟

فرانشيسكو: ستة وعشرون عاماً.

البابا: ما رأيك فى أن تصبح كاردينالا - ابن أخى، كاردينال؟

فرانشيسكو: أنت فى منتهى الكرم معى.

البابا: فرانشيسكو باربينى، كاردينالا لسان لورانس بدمشق.

فرانشيسكو: عمى، يمكننا أن نعتبر ذلك عصر النبل، عصر التنوير والأفعال المجيدة.

البابا: ماذا؟ آه، أجل... عصر التنوير، والأفعال المجيدة. [إلى ميچوردمو] ماذا لدينا بعد ذلك فى أچندة اليوم؟

ميچوردومو: قداستك سمحت بمقابلة جاليليو جاليلى. آخر لقاء قبل أن يغادر روما. لقد أعددت الهدايا. (يُحضر الهدايا... ويضعها على المنضدة، ثم يتجه ناحية جاليليو، الذى يناول المخطوط لساجريدو، ثم يتحرك لمقابلة ميچوردومو).

البابا: ست مقابلات خلال ستة أسابيع، هذه الهدايا... لم يكرم إلا عدد قليل من الرجال على غير المعتاد.

فرانشيسكو: عمى، هل يمكننى البقاء ومقابلته؟

البابا: بالتأكيد. [ميچور دومو يتقدم جاليليو لمقابلة البابا، ثم ينصرف على الفور. جاليليو يركع ويقبل خاتم البابا] إنهض، يابنى... يا صديقى.

جاليليو: صاحب القداسة.

البابا: هيه، يا جاليليو، أمازلت تتجول فى السماوات؟

جاليليو: (مبتسماً) مازلت يا صاحب القداسة.

البابا: فرانشيسكو، ابن أخى. أحد معجبيك.

فرانشيسكو: (متأثراً بشدة) إن لدى تلسكوبا خاصاً بى... كما إننى قرأت كل كلمة كتبتها.

جاليليو: لى كبير الشرف.

البابا: متحمس جداً.

كارلو: عن إذنك، يا جاليليو. ينبغى علينا أن ننصرف، أتمنى لك حظاً سعيداً بتجوالك السمائى.

فرانشيسكو: (يمسك يد جاليليو بين يديه) يا سيد جاليليو، المستقبل لك.

البابا: (مبتسماً) ابن أخى شاب مثالى... وصديقى. كان بودنا أن أبقيك هنا إلى جوارنا، لكننا نعلم أن مكانك وعملك هناك فى فلورنسا... وبالتالى فلن نكون أنانيين.

جاليليو: صاحب القداسة، أرجو أن تسمح لى بطلب واحد قبل أن أرحل.

البابا: ما هو، يا جاليليو.

جاليليو: إلغاء قرار الكاردينال بلارمن، والسماح لى بالتعامل مع نظرية كوبرنيكس بحرية ومصداقية.

البابا: (باهتمام بالغ) للأسف! هذا شيء لا نستطيع السماح به.

جاليليو: خلال ست أسابيع، قمت بست لقاءات. (يخر على ركبتيه) العالم يحسدنى، لكن هذه لحظة لا أحسد عليها.

البابا: [يساعده على النهوض، وقد تأثر بشدة] يا صديقى، لو كان الأمر يتوقف على، لما كان هذا القرار قد صدر. لكن طالما صدر فليس باستطاعتى أن ألغيه.

جاليليو: لكنك يا صاحب القداسة، رجل متفتح وتتفهم الأسلوب العلمى ولما قضينا ليال عديدة، نتدارس الفضاء سويا، وقد شاهدنا أشياء غير عادية....

البابا: كيف يتسنى لنا التأكد مما شاهدناه؟ عقل الإنسان يتسم بالضعف. إن ما بدا حقيقة ما هو إلا وهم.

جاليليو: لكن الترتيب والمنطق التام والتوازن والبساطة التامة لنظرية كوبرنيكس..

البابا: جاليليو، أنت بهذه الكلمات بالذات تقلل من قدرة الله!

جاليليو: أنا، أقلل من قدرة الله؟!

البابا: الله هو القوة المطلقة، أليس كذلك، يا جاليليو؟

جاليليو: دون شك.

البابا: إذن فكل شيء من شأنه هو. أليس كذلك؟ [يومئ برأسه] لكن أن تحاول إقناعنا بأن الأرض تدور حول الشمس، لأن ذلك أيسر وأقرب إلى الصواب، فهذا بالضرورة يقلل من قدرة الله بأيسر الطرق. وهذا شيء يا جاليليو، أنا على يقين من أنك لم تكن تقصده.

جاليليو: إذن ليس هناك منطق ولا وحدة ولا نظام فى هذا الكون؟

البابا: ربما يوجد... وربما لا يوجد.

جاليليو: لو كان الله يرغب فى ذلك، فباستطاعته خلال يومين مختلفين أن يحقق نفس النتيجة بطريقتين مختلفتين تماما؟

البابا: إذا كانت هناك أشياء تحدث بأسلوب واضح جلى، فليس من حق الإنسان أن يقول بإمكان حدوثها بأسلوب آخر. إن قدرة الله وعظمته كفيلة بتحقيق أى شيء يراه مناسباً. وحقيقة فإن ما يبدو لنا صعباً ومعقداً ومستحيلاً هو من صنع قدرة الله.

جاليليو: قداستك سعيد بالمزاج. كما تعودت فى الأيام الخوالى قبل أن تصبح...

البـــابا: (يقاطعه بحدة) فى المسائل التى تختص بالعقيدة، نحن لا نمزح! فى المسائل التى تخـتص بالعـقيدة نريد دارسين وليس نقاداً. [جاليليو يصاب بالذعر] لا يحق لك الشك أو الجدل فى العقيدة كما تشاء. العقيدة ليست رأياً، إنما يقين! [جاليليو يصعق. البابا يلطف الموقف] تعال، يا جاليليو، لقد أعددنا بعض الهدايا لك. [يقود جاليليو إلى المنضدة التى عليها الهدايا] وأهم شىء نعطيه لك، هذا الخطاب لدوق ولايتك. وكم أود أن تقرأ جزءاً منه بصوت عال. جاليليو، أيها الصديق العزيز، فلتكن هذه القراءة ميثاقاً بيننا.

جاليليو: (يبدأ القراءة) بقدر استمرار سطوع چوبتر وكواكبه فى السماء، بقدر ما ستظل شهرة جاليليو تسطع على الأرض بقدر خلودها. لقد تابعنا بمشاعرنا الأبوية إنجاز هذا الرجل العظيم، واكتشفنا فيه ليس على الأديب فقط وإنما على شاعر متمكن. وأعتقد أنك ستقدر مدى إعزازنا الكامل به، وقد أعطيناه. هذه الرسالة كتوصية. [تتلاشى الإضاءة حتى تظلم تماماً على هذه المنطقة يتحرك البابا خارجا. تضاء المنطقة الأولى لنجد جاليليو

يتقدم نحوها. ساجريدو يتحرك! لقد كنت على صواب يا ساجريدو. سألته أن يعترف بالحقيقة، وبدلاً من ذلك أعطانى هدايا.

ساجريدو: أخيراً أدركت الحقائق الآن تعرف على ضوئها. هناك سفينة ستبحر الليلة إلى لندن. وقد عملت ترتيباتى لتكون على ظهرها.

جاليليو: إذن فأنت تريدنى أن أهرب. لعنة الله على ترتيباتك.

ساجريدو: إذهب إلى إنجلترا حيث تستطيع أن تعمل بحرية يا جاليليو، يا صديقى العزيز، أنت مصباح منتصف الليل، الذى بمقدوره أن يبدد الظلام الذين نعيش فيه. وإنجلترا هى المكان الوحيد الذى سيكون بمقدورك أن تعمل فيه.

جاليليو: كلا. مكانى هنا صحيح أن السلاح ليس من اختياراتى، لكننى أقبل القتال.

ساجريدو: من الممكن أن تخسر. لماذا تتكبد المغامرة؟

جاليليو: من أجل كنيستى، من أجل روحى، من أجل كتابى! إنها الثالوث المقدس.. أنت متفق معى أنه ليس كافيا أن يكون

الكتـاب مـخطوطـا، ولابد أن يطبـع ويُقـرأ. وهذا لا يمكن أن يتم إذا سافرت إلى إنجلترا.

ساجريدو: (يقاطع ساجريدو بنفاذ صبر) ولم لا؟

جـاليليو: أن يطبع فى إنجلترا دون موافقة رسمية من روما، من الذى سيقـرأه. سيـصـبح مـثل أى شىء يُهرب فـى الظلام لا أستطيع أن أحقق شهرتى دون موافقة رسمية من روما على الطبع. سأقدم الكتاب إلى مجلس الحكمـاء. سأفعل أى شىء يطلبونـه، حذفاً أو إضافة أو تغييراً، وسوف أحصل على موافقتهم. وما أن أحصل على الموافقة، يمكننى أن أنشر صدق نظرية كوبرنيكس فى الكنيسة نفسها. لذلك ينبغى أن أبقى هنا.

ساجريدو: أنت تلعب لعبة خطرة.

جـاليـلـيـو: أنا أقوم بالشىء الذى تبقى لى، لكى أفعله. جئت على أمل الحصول على اعتراف بالحقيقة، لكنهم سمحوا فقط بكونه فرضية علمية. حسن جداً إذن. فليكن فرضية علمية. ذلك ما تبقى لدى.

ساجريدو: ستقاتل الأسود فى عرينها.

جاليليو: سينتصر كتابى على الأسود.

ساجريدو: (يضحك) أنت تمتلك روحاً قتالية.

جاليليو: القتال وحده هو الذى سيحدد المستقبل! سوف نكسب ذلك المستقبل! سيُعرف عصرنا، بعصر الحقيقة والتنوير ستفتح الأبواب للـ... أقول لك، يا ساجريدو، سوف نكسب ذلك المستقبل! (تطفأ الإضاءة بسرعة)

نهايـة الفصل الأول

الفصل الثانى

محل لنديلى لبيع الكتب فى فلورنسا. الأرفف مزدحمة بالكتب. جاليليو وساجريدو بأحد جوانب المحل المعتمة إلى حد ما. بأيديهما بعض أوراق اللعب، يتوقفان عن اللعب لمراقبة حركة المبيعات

زبـــون: يومك طيب يا سيد جرمانى. شكراً على الشراء (ينصرف الزبون).

جاليليو: كم عدد المبيعات حتى الآن؟

ساجريدو: أنت تعرف المجموع.

جاليليو: بالطبع أعرف. لكنى استمتع بسماع ذلك.

لنديني: سبعة عشر. لقد بعنا اليوم سبعة عشر كتابا.. سأفتح المحل لساعة أخرى.

ساجريدو: سبعة عشر! سبعة عشر!

جاليليو: سبعة عشر. رقم له وقع طيب جدا.

ساجريدو: ولنفرض أن للديلى باع كتاباً آخر قبل أن يغلق المحل؟

جاليليو: العالم يعرف أن ثمانية عشر لها وقع أفضل من سبعة عشر، اسمع. سبعة عشرة. ثمانية عشر. أحكم بنفسك. [يضحكون بينما يلعب جاليليو بورقة كانت فى يده].

ساجريدو: (يضع يده على رسغ جاليليو) ذلك يذكرنى بقصة ثلاثه رجال يعملون فى خدمة الكنيسة، فقد جرت على مثل هذا النحو. (يحكى القصة باستمتاع) جلس الرجال الثلاثة يناقشون كيفية تقسيم حصيلة نقود التبرعات - تلك التبرعات التى تجمع فى طبق، كدليل ملموس على تقوى كل منهم وكل رجل دين. كانت هناك من جهة متطلبات تختص بخدمة الله، ومتطلبات أخرى تختص بإحتياجاتهم الشخصية أحدهم كان هزيلاً نحيفاً. رداؤه الكهنوتى لامع نتيجة لقدمه والثانى كان نحيلا ووجهه مليئ بالندبات، كوعاه يبرزان من عباءته المتهرئة. أما الثالث فكان ممتلئاً تبدو عليه مظاهر الصحة،عيناه مرحتان. عباءته من قماش

غالى الثمن، وصليبه الفضى ثقيل ذو زخارف معقدة. ولو لم يكن من رجال الدين، لحسبته ديكاً رومياً منفوش الريش الأخضر، بقبعته التى فوق شعره الأصفر المجعد. قال الأول: «لدى فكرة، سأرسم خطا على الأرض. وآخذ النقود من الطبق وأقذفها فى الهواء. ما يسقط من النقود على يمين الخط فهى من نصيب الله، وما يسقط على اليسار فهو من نصيبى.» فقال النحيل ذو الكوعين البارزين من العباءه: «سأفعل نفس الشئ. لكن بدلاً من الخط المستقيم، سأرسم دائرة على الأرض. سآخذ النقود من الطبق وأقذف بها فى الهواء. وكل ما يسقط داخل الدائرة فهو من نصيب الله، أما ما يسقط خارجها فهو من نصيبى.»

أما الثالث الأكثر شباباً من الآخرين فقال وهو يرتب على ردائه المريح ويداعب صليبه الفضى الثقيل: «تعلما منى، يا أخوى، تعلما منى. سأقوم أنا أيضا بأخذ النقود من الطبق وأقذفها فى الهواء. وما يريده الله يأخذه. وما يسقط على الأرض، فالله يريد أن يكون من نصيبى.» [جاليليو وساجريدو يضحكان. ثم يبدأ جاليليو لعب الورق. ساجريدو يمسك يده] .. ألم أحك لك من قبل قصة إحدى بنات الأبرشية الباكيات.؟ كلا؟ إذن يجب أن تسمعها. كانت إحدى بنات الأبرشية تبكى حتى أغرقتها دموعها الغزيرة. إستمع

القسيس لحكايتها المحزنة المؤثرة، وقال.. جاليليو: كفى يا ساجريدو. لقد حكيتها لى أربع مرات من قبل؛ ولا داعى للمرة الخامسة. كفى!، أنا أرثى لك

ساجريدو: (بحزن الحقيقية أننى أرثى لنفسى. أنا أشعر كأننى سفينة مبحرة فى مياه مجهولة. إلى أين أتوجه؟ على أى شاطئ سأرسو؟ (بكآبة) ما الذى يحدث لى؟ أنا أتطلع إلى العالم وأرى... [يدخل ڤينتى يرتدى ملابس تاجر. يصمت جاليليو وساجريدو ويراقبان]. لنديلى : اهلا بك ، يا سيدى ڤينتى.

ڤينتى: (بخجل) سيد لنديلى، كيف يستطيع الانسان شراء كتاب؟

لنديلى: أنت تاجر، يا ڤينتى. فأنا عندما أريد شراء بعض الملابس الفاخرة من عندك، أسأل عن السعر ثم أدفع لك، وتصبح الملابس ملكى. فإذا كنت تريد كتابا، أسألنى عن السعر، ثم إدفع لى،

ويصبح الكتاب ملكك

ڤينتى: هكذا؟

لنديلى: هكذا؟

ڤينتى: ما سر كتاب جاليلو هذا؟

لنديني: كِرَاوِفْ واحد.

ڤينتى: هل هو بالايطالية؟؛ (لنديلى يفتح نسخة ويريها له) منذ عشرين عاما تعلمت القراءة والكتابة. وقد ساعدنى ذلك كثيراً فى أعمالى . الآن أستطيع إستخدام نفس اللغة الإيطالية فى قراءة هذا الكتاب. (نخجل) لقد قيل لى، ليس هناك متعة أعظم من أن تجلس فى بيتك وتقرأ كتابا.

لنديني: حاول سترى.

ڤينتى: [يدفع ثمن الكتاب ويبدأ فى الانصراف] إذا أعجبنى ، فسوف أحضر واشترى كتاباً آخر.

لنديني: شكراً جزيلا. طاب يومك (يخرج ڤينتى. يتجه إلى جاليليو بزهو) عظيم، يا سيد جاليليو، هكذا يصبح مجموع ما بعناه اليوم ثمانية عشر كتابا.

جاليليو: أرجو أن تغفر لى حماقات رجل عجوز، إذا يعجبنى الجلوس هنا فى هدوء ومراقبة الناس وهم يأتون لشراء كتابى. ثمانية عشر. أوووه!

لنديني: فى العشرة أيام الماضية، وكأنه لم يكن موجوداً لدى

سوى كتابك. لقد بعنا كل الكتب تقريبا.

ساجريدو: عندما يأتى إليك مؤلف يطلب منك نصيحة، قل له: «أكتب كتبا عظيمة. فهناك سوق رائج لها» (يضحكون).

لنديني: (باهتمام مفاجئ) عن إذنكما. فقد جاء خادم الكونت شيللى. [يجلس جاليليو وساجريدو بلا حركة فى منطقة معتمة إلى حد ما: يدخل الخادم وصوفى حوالى الخامسة عشرة].

الخادم: مساء الخير، يا سيد لنديني.

لنديني: مساء الخير.

الخادم: [يناوله رسالة] من الكونت.

لنديني: [يفتح الرسالة، يقرأها، يبتسم، ويتجه إلى جاليليو وساجريدو] إسمعا. «لقد منحنى كتاب جاليليو الجديد سعادة بلا حدود، لدرجة أننى قررت أن يشاركنى هذه السعادة آخرون. لذا أرجو إرسال ثلاث نسخ من الكتاب...». يريد كتابا لأخيه فى بيزا آخر لابن أخيه فى توريلو، وثالث لعمه فى ميلانو. (إلى الخادم) قل لسيدك إن الكتب سترسل فوراً.

الخادم: سأخبره، يا سيدى. (يتجه ناحية جاليليو بتردد) أنت السيد جاليليو، أليس كذلك؟

جاليليو: (يخرج من المنطقة القليلة الإضاءة) كيف عرفت ذلك ؟

الخادم: من صورتك على واجهة الكتاب.

جاليليو: هل قرأت كتابى؟

الخادم : (بحذر) بضعة صفحات فى الوقت الذى لايوجد به أحد حولى. فنسخة الكونت دائما بجانبه.

جاليليو: ما رأيك فيه؟

الخادم: (باندهاش) أتريد أن تعرف حقا؟] جاليليو يهز رأسه بتأكيد نظرية كوبرنيكس هذه ، أهى حقيقة؟ أحيانا لا أستطيع أن أعرف من كتابك ، إذا كنت تؤمن بها حقيقة.

جاليليو: الكنيسة لا تعترف بها كحقيقة... لكننى أقول لك أن كل الشواهد تدحض نظرية أرسطو. (ساجريدو يضع يده على كتف جاليليو محذرا)

الخادم: (مرتبكا) أنت تحيرنى. فنظرية أرسطو لامعنى لها: واحدة فقط يمكن أن تكون على صواب. لماذا لا تقول بالضبط الذى تؤمن به

جـاليليـو: (يزيح يد ساجـريدو بنفاد صبر) للديلى، دع هذا الشاب يأتى وقتما يشأ ويقرأ كتابى. (يلتقط نسخة من الكتاب) إقرأ، يا بلى! إقرأ الكتاب بعناية. وفكر حتى نصل إلى الإجابة لاتخشى من التفكير!

(يخـرج جـاليليـو وسـاجـريدو وللديلى والخـادم، بينمـا تسلط الإضـاءة على قاعـة الاستقبال فى الفاتيكان. حيث يوجد البابا والأب فنسنزو ماكوليلى دا فيرنزولا)

البابا: (يتصفح الكتاب) لا أستطيع تصديق ذلك!

كـارلو: (يدخل مسرعا وبيده كتاب. يرتدى زى قائد الجيش البابوى. يتبعه فرانشيسكو، الذى أصبح الآن كاردينالاً، يتبعهما ميجور دومو) هل رأيت هذا الكتاب، يا أخى؟

البابا: كتاب جاليليو؟ (يرفع نسخته) الأب فيرنزولا الموجود هنا أحضره لى... شئ مؤلم: شئ مستحيل!

كـارلو: مؤلم ... لكن ليس مستحيلا. لقد جعلنا أضحوكة. لقد أرسلنا مـبشرين إلى اليابان وأمـريكا الجديد... وأنفقنا مـلايين من قطع الذهب، فعلنا كل شئ لبسط نفوذ الكنيسة، ثم يأتى كتاب واحد ليحط من كرامتنا وهيبتنا.

البـــابا : كرامتنا ! هيبتنا! أنا على إستعداد لبيع هيبتنا قطعة قطعة فى السوق العمومية، لكنى أستطيع إعادة بنائها ثانية خلال ستة أشهر. لكن هذا الكتاب ربما يجعلنا نفقد شيئاً لن يكون بإمكاننا السيطرة عليه. (يتجه فيرنزولا إلى ركن معتم، مبتعداً عما يجرى فى المشهد).

كارلو: ما الذى تقصده، يا أخى؟

البـــابا : هذا الكتاب يعتمد على التفسير العقلى، وليس على العقيدة! هذا الكتاب سيشجع الناس على التفكير! هذا الكتاب سيعلم الناس كيف تفكر! وما إن يبدأ الناس فى التفكير بشكل مستقل. فسوف تتفتت وحدة الكنيسة إلى آلاف الشظايا. لن تكون هناك كنيسة. والأسوأ من ذلك أنه كتب كتابه بالإيطالية... حتى يقرأه أى رجل عادى

كارلو: سنتتبع حركة المبيعات لكل نسخة ، نصادره ونحرقه

البابا: بكل الوسائل.

كارلو: لابد من إستدعائه.

البـابا : سوف يلقى منا ساعتها ما يكفيه. لكن الشئ المهم هو الكتاب... أبعث إلى ريكارى وشامبولى فوراً.

كارلو: لقد أرسلت فى طلبهما.

البابا: (لكارلو) هل ساجريدو نيكوليلى هنا أم فى فلورنسا؟

كارلو: لقد وصلتنى أنباء بوصوله من فلورنسا منذ يومين.

البابا: (إلى ميجور دومو) أرسل لاستدعاء السفير ساجريدو نيكو ليلى فوراً. [يخرج ميجوردومو. البابا يتمشى جيئة وذهابا يلتقط الكتاب ويقرأ سطراً أو سطرين، ثم يود للتمشى ثانية. يرمى الكتاب بعنف إلى الأرض)

فرانشيسكو: (يقف أمام الباب بسرعة) عمى، لاتفعل ذلك بكتاب جاليلو.

البابا: ماذا؟

فرانشيسكو: [يتجه نحو الكتاب ويلتقطه] سوف تخدع الملايين الذين يتطلعون إلى الكنيسة بإعتبارها ملاذاً للهداية والخلاص [البابا يعترض طريق فرانشيسكو ويضع قدمه على الكتاب. فرانشيسكو يحاول نزعه من تحت قدمه] لو أنك رفضت أفكار جاليليو فسوف تحول الكنيسة إلى مؤسسة جامدة، غير قادرة على التطور، وعلى عدم قبول حقائق جديدة يكتشفها الناس.

البابا: نحن نمنع نشر أى حقائق إلا بعد موافقتنا عليها.

فرانشيسكو: (يقف ويواجه البابا) المدع ليس فى إستطاعتك.

كارلو: (يبعد فرانشيسكو بقوه) بلى.

فرانشيسكو: (يقاوم للتخلص من قبضة كارلو) الحقيقة مثل التيار التحتى ، يمكن إيقافه، لكنه يوماً ما سيطفح على السطح. كيف سيتسنى للناس أن يتفاعلوا مع الأفكار الجديدة؟ سوف ينقرون الصدفة الصلبة لمبادئنا المتحجرة، ويخرجون حقيقة جديدة فى كل مكان . وفى موقف الدفاع عن موقفنا سنجد أنفسنا فى حالة حرب ضد الحق. [ينجح فرانشيسكو من التخلص من قبضة كارلو، الذى يصفعه بشده على وجهه. يفزع البابا وكارلو وفرانشيسكو ويصدمون لما حدث. يدخل الأب ريكاردى رئيس المطبوعات والمونسيور شامبولى سكرتير المجلس البابوى. ومازال الموقف متوترا].

الأب ريكاردى: صاحب القداسة . هل أرسلت فى طلبنا؟

البابا: [يشير إلى الأب ريكاردى الالتقاط الكتاب، يقوم بذلك] هل تعرف هذا الكتاب؟

ريكاردى : (يفتحه) لماذا، إنه كتاب جاليليو.

شاميولى: انظر إلى صورته على الغلاف

ريكاردى: شبيهة له.

البـــابا: (بجمود) دعونا من الإعتبارات الشكلية. باعتبارك رئيساً لقسم المطبوعات، هل سمحت بطباعة هذا الكتاب.

ريكاردى: نعم

البـــابا : كيف تسمح بصفتك رئيسا لقسم المطبوعات ، بطبع هذا الكتاب؟

ريكاردى: لقد التزم بكل تعليماتنا. وكتب مقدمة تحت إشرافنا، كما غيرنا العديد من الجمل فى صلب الكتاب . وبعد أن انتهينا، كان من الطبيعى أن نعطيه ترخيصاً بطبع الكتاب

كارلو: هل إلتزم بكل تعليماتكم؟

ريكاردى: أجل ، إلتزم.

كارلو: ومع كل إستجابة، كان يزيد من أعتراضاته على الكنيسة.

ريكاردى: صاحب القداسة، ماذا يعنى سيادته؟

البـــابا: هو يعنى أن كتاب جاليليو ضد العقيدة. هو يعنى أن هذا الكتاب سيدمر سلطة الكنيسة. هو يعنى أن العقيدة تعرضت للخطر بسبب هذا الكتاب.

ريكاردى: (يسقط الكتاب فى خوف ودهشة) ماذا؟

البابا: إن هذا الكتاب لايتعامل مع الرياضيات. انه يتعامل مع العقيدة والعقل.

ريكاردى: لقد قرأته عشرات المرات تقريبا. أنا لا أفهم شيئا.

البابا: يمكنك الإنصراف (يبدأ فى التحرك) اما بالنسبة لك يا شامبولى فسوف أبعث بك إلى مقاطعة نائية، حيث يمكنك قضاء ما تبقى لك من أيام حياتك، تفكر فى ذلك. أنتظر يا ريكاردى (يقف ويتقدم ناحيته) آخر عمل رسمى تقوم به، هو أن ترسل أمراً إلى قاضى التحقيق فى فلورنسا، لمصادرة كل النسخ الموجودة فى محل لنديلى لبيع الكتب (بصعق ريكاردى. يخرج هو وشامبولى،

فرانشيسكو: عمى، ينبغى أن تكون كنيستنا قصراً دافئاً للإنسانية وليست سجناً للروح.

البابا : لايمكننا أن نتراجع

فرانشيسكو: (يقف خلف كارلو، ويقظا لحفظ المسافة) أذن وآسفاه لكنيسة يسوع! نحن نغلق البابا أمام الناس لنبعدهم عن الله (يخرج).

كـــارلو : (متفجرا) أخشى عليك يا بنى من محاكمة فى

انتظارك. متى سيتعرف على الضرورات؟ (يخرج. يظهر الأب فيرنزولا الذى كان موجوداً فى منطقة الظل ويتقدم إلى الامام)

البـابا: (يفاجأ ويرتبك جداً لكون فيرنزولا رأى ما حدث فى المشهد السابق) أما زلت موجوداً هنا ، أيها الأب فيرنزولا! ظننت أنك خرجت عند ما خرج أخى وإبنه...

فيـرنزولا: (باندفاع) صاحب القداسة، لو تسنى لى أن أقيم الظواهر التى حدثت بشكل سديد، فلابد أن تعقد محاكمة لرجل أمام محكمة التفتيش. ومع كل الاحترام والتقدير العميق الذى أكنه لرئيس المحكمـة، وثقتى بأنه مناسب تماماً لمجال عمله مع كل الإحتـرام.. إلا أن هناك شيئاً واحـدا... وهذا الشئ يا صـاحب القداسة، سوف يثبت أهميته سلطاتك العليا.

البابا: ما هذا الشئ؟

فيرنزولا: الإكراه. فن الإكراه.

البابا: إستمر.

فـيـرنزولا: هذا الرجل الذى من المحتمل أنه سيقف أمام المحكمة، يرعى حبه للطبيعة ودائماً ما يضرب أمثلة بها. أيمكننى أن أفعل مثله وأضرب مثلا؟ البابا يهز رأسه موافقا) أسقط ضفدع

فى وعاء ماء يغلى. فأخذ يتلوى ويناضل ويقفز أحيانا فى محاولة الهروب، ودائما ما كان يرشرش الماء حوله ويحدث حركة عنيفة فى الماء. هناك ضفدع آخر أنزل فى وعاء به ماء بارد، فقنع بذلك واستقر بكل إرتياح. بدأت المياه تسخن ببطء وبالتدريج، بالتدريج بدأت حرارة الماء تزيد، حتى وصلت المياه إلى درجة الغليان، لكن الضفدع لم يحدث أى حركات عنيفة... لأنه فقد إحساسه ببطء. ومات فى هدوء نفس النتيجة ثم الوصول إليها مرة بواسطة أحمق، والمرة الثانية بواسطة فنان. وأنا فنان! (خلال هذا الحديث كان يتحرك ويقترب من البابا، لكنه الآن يتراجع) هل أسوق المزيد؟

البابا: إستمر.

فيرنزولا: كيف نستوعب الاكراه؟... نستخدمه؟.. متى؟.. إلى أى حد.. تلك هى الحرفية المرهفة .. التى يمكن الوصول اليها فقط من خلال الدراسة العميقة، للنشاط الداخلى لقلب الإنسان وعقله. إدراك المزج بين الخوف والشجاعة، الأمل واليأس ... كيف تجعل ذهن الإنسان فى حرب مع الخوف المخروج بنخاع العظام؟.. هذا الموضوع يا صاحب القداسة. كان موضع دراستى المستمرة.

البابا: وكيف تتصور نجاح علمك هذا فى مجال التطبيق؟

فيـرنزولا : يا صاحب القداسة. لقد قمت ببعض التحريات الخاصة من جانبى.

البابا : هل قمت بذلك؟ آمل أن يكون ذلك قد تم فى سرية.

فيـرنزولا: أنا رجل حذر، يا صاحب القداسة. هناك ملف أود أن تلقى عليه نظرة. فى هذا الملف، وجدت بعض الأوراق [يخرج ورقة من كم عباءته] وأعتقد يا صاحب القداسة أنك ستجد نفعاً بقراءتك لهذه الوثيقة.

البابا: (ينظر إليها بسرعة) من أين لك بها؟

فيرنزولا: من الملف الرسمى لجاليليو جاليلى.

ميـجـوردومـو: (يدخل) سعادة السفير ساجريدو ونيكوليتى وصل.

البـابا : دعه يدخل . ثم أدخل شامبولى وريكاردى بسرعة. (يسرع ميجور دومو بالخروج. يتطلع البابا إلى فيرنزولاً بهدوء تام بنوع من التقدير .. يتلقى فيرنزولا نظرات البابا بنفس الشعور يدخل ميجور دومو يتقدم ساجريدو، ثم ينصرف.

ساجريدو: (يركع) لقد جئت على الفور، يا صاحب القداسة.

(يحاول النهوض ، لكن البابا يبقيه راكعا بالضغط على كتفه يقاوم ساجريدو، لكنه يجبر على الركوع)

البـــابا : أستحلفك بأن تركن إلى الصمت ، لما سوف تراه وتسمعه .

ساجريدو: أقسم .

البـــابا : إذا حنثت بقسمك فسوف تضع روحك الكاثوليكية فى خطر اللعنة الأبدية . [يرفع البـابا يده : ينهض سـاجـريدو. إلى فيرنزولا الذى يقف على مسافة بكل احترام) إقترب، يا عزيزى فيرنزولا . (إلى ساجريدو) الأب فيرونزولا قدم لنا خدمات طيبة، ولذا فهو يستحق منصباً هاما.

فيرنزولا: شكرا، يا صاحب القداسة .

البابا : (إلى فيرنزولا) السيد نيكوليلى سفير فلورنسا فى روما

فـيـرنزولا: أعرف سعادة السفير بالاسم، لكننى سعيد لمعرفته وجها لوجه .

ريكاردى: (يدخل) تحت امرك، يا صاحب القداسة .

البابا : قف هناك، صامتا.

ريــكــاردى: حاضر، يا صاحب القداسة. (البابا يتفحص الوثيقة)

شــامــبـولى: (يدخل) هل أرسلت فى طلبى، يا صــاحـب القداسة...؟

(البابا يسكته باشارة من يده).

البــابا: [يتحرك ريكاردى وشامبولى ليقفا بجوار بعضهما ثم على نحو مفاجئ] عندما قدم جاليليو كتابه للتصريح بنشره، ماذا قال بالنسبة لملاحظات الكاردينال بلارمن التى أبداها له؟

ريكاردى: ماذا قال؟

البــــابا: ماذا كانت الاعتراضات الاساسية فى ملاحظات الكاردينال بلارمن التى أبداها له؟ ماذا قال جاليليو عنها؟

ريـكـاردى: قال لى إنها معلومات عـامة.. وقد ساندته السلطة الكاثوليكية الرسمية.

البـابا: (بجمود) لاتقل إن سلطتنا الكاثوليكية الرسمية ساندته قل لنا بالضبط ماذا قال لك.

ريــكــاردى: قـال بأن الكاردينال بلارمن قـال له، طالما أن

نظرية كوبرنيكس لاتتفق مع تعاليم الكنيسة، فإنها لذلك لاتعد حقيقة، لكن يمكن مناقشتها كفرضية علمية.

البابا: ألم يقل فى أى وقت بأن الكارديتال بلارمن ألزمه بالصمت التام وعدم مواصلة العمل أو التدريس أو الدفاع عن مبادئه بأى شكل مهما حدث؟

ريكاردى: بأى شكل مهما حدث؟

البابا: بأى شكل مهما حدث؟

شامبولى: ولا حتى كفرضية علمية؟

البابا: وأنه ممنوع من الكلام أو الكتابة، بأى شكل مهما حدث. ألم يقل لك ذلك أبداً؟

شامبولى: كلا، لم يقل.

ريكاردى: لو كان هناك أى إعتراض، لما كان كتابه يمر من بين يدى.

شامبولى: بالطبع.

البابا: ألايكون مذنباً عندما يكتب كتابا كل كلمة فيه وكل حرف وكل جملة، إثم. أليس كذلك؟

ريكاردى : نعم، يا صاحب القداسة.

البـــابا : ألا يكون مذنبا عندما يستغل رعايتى له، ليخدعك. أليس كذلك؟

ريكاردى : نعم، ياصاحب القداسة. (بتردد) صاحب القداسة. هل هناك أى إعتراض على كتاب جاليليو؟

البابا : لقد قمت بما يكفى من التخريب. يمكنك الإنصراف.

ريـكـــاردى: حاضر، يا صاحب القداسة. (يخرج شامبولى وريكاردى)

ســاجــريدو: هل هناك أى إعـتـراض؟ [البـابا يناوله الورقـة. ورغم إضطراب ســاجــريدو،إلا أنـه قــادر على تلطيف الجــو] من الواضح أن هذه ليست وثيقة رسمية. هذه مجرد مذكرة كتبها كاتبٌ مفرط فى حماسته.

البـــابا: إنها جزء من سجلاتنا الرسمية الدائمة، أخذت من ملفاتناعن جاليليو.

ساجريدو: إن هذه الورقة، لا تحمل توقيعاً، لامن الكاردينال بلارمن ولا أى شاهد، ولاحتى جاليليو نفسه.

البابا: لاداعى أن تتحدث بخفة عن سجلاتنا الرسمية.

ساجريدو: لم يكن هذا قصد الكاردينال بلارمن، عندما أراد توجيه النصح لجاليليو.

البابا: أتود أن تستدعيه وتسأله عما كان يقصد؟

ساجريدو: قداستك تعلم كما أعلم أنا تماما، أنه مات.

البابا: إذن يتحتم علينا أن نرجع إلى ملفاتنا. هذه الوثيقة...

ساجريدو: عفوا، يا صاحب القداسة، هذه ليست وثيقة. إنها ورقة غير ممهورة. متى كتبت هذه الورقة؟... ومن كتبها؟ كلا، إنه حتى لايوجد عليها تاريخ. [يتقدم فيرنزولا ليأخذ الورقة من ساجريدو. فيسقطها ساجريدو عمداً على الأرض ليجبر فيرنزولا على إلتقاطها].

البابا: (مواصلا) هذه الوثيقة كافية لتحويل الموضوع كله إلى المحكمة. وستكون مستنداً لأعضاء المحكمة حتى يقرروا إدانة جاليليو، لتجاهله الحظر ومخالفته عن عمد. وأرجو أن تتذكر أيها السفير نيكوليلى بأنك قد أقسمت بكتمان السر.

أنت تعرف التهم التى ستوجهها له المحكمة، لكن جاليليو لا يجب أن يعرف هذه التهم، قبل أن يقف أمام القضاء.

ساجريدو: لكن جاليليو سوف يسألنى بصفتى صديقه وسفيره. أما بخصوص كتمان السر، فيجيب أن تثق بى، فلن يكون ذا نفع له. صاحب القداسة، لقد كبلت يدى بشكل فعال.

البابا: أنا فعلت ذلك؟

ساجريدو: لكن هناك يا صاحب القداسة، شيئاً واحداً، ربما، لم تنتبه إليه.

البابا: أنا؟

ساجريدو: ماذا لو، رغم قسمى، أختار أن أخبر جاليليو؟ فأنا وهو فقط لابد أن نعلم.

البابا: ستخسر روحك الخالدة.

ساجريدو: ربما أغامر بها.. أغامر بروحى من أجل الحقيقة المعاشة.

البابا: هناك روح أخرى ستتورط معك، روح جاليليو!. عندما يعلم بأنك أقسمت لى، سيرفض أن يسمع. إن روحه الكاثوليكية لها منزلة كبيرة جداً لديه.

ساجريدو: (بمرارة) صاحب القداسة، أنت لم تنته إلى أى شىء.

البـابا : (إلى فيرتزولا الذى كان يقف خلفه) فيرتزولا، إبعث رسالة إلى فلورنسا، لكى يمثل جاليليو أمام المستشار العام للمحكمة فى روما خلال شهر من تاريخه.

ساجريدو: (مصدوما) فى روما! الرجل عمره تسعة وستون عاماً. صحته متدهورة وأعمى تقريبا. وبلاشك يمكن أن يمثل أمام محكمة فلورنسا.

البــابا : لابد أن يحاكم شخصيا فى روما. (يناول فيرنزولا المذكرة. ينصرف فيرنزولا).

ساجريدو: قداستك تتعجل الخطر، بمحاكمته سواء فى فلورنسا أو رومـا. أود أن أؤكـد لك بكل احـترام، أن الرجل من الممكن أن يموت وهو فى الطريق إلى هنا.

البـابا : إذا لم يكن على مايرام، فبإمكانه الحضور على مهل، لكنه سوف يأتى. مكبلاً إذا لزم الأمر... لكنه سوف يأتى. لابد أن يحاكم فى روما.

(يتحرك ساجريدو إلى أحد الجوانب ويثبت فى الظل، بينما يخرج البابا. تسلط الإضاءة على دير سانت ماتيوفى ارشترى يقف جاليليو مع ماريا شلستى.)

ماريا: لايمكنك الذهاب إلى روما فى هذا الوقت من السنة. فالرياح التى تهب من أعالى الجبال باردة جدا. انتظر حتى قدوم الربيع.

جاليليو: لاأستطيع الانتظار. أنا لست مدعواً لزيارة روما. هناك أمر باستدعائى إلى روما. لابد أن أذهب.

ماريا: كلا، يا أبى!.. ما الداعى؟ لقد إلتزمت بكل ملاحظاتهم. (ترفع يدها اليمنى) لقد نسخته هذا الكتاب، وأنا شاهدة على ذلك.

جاليليو: يجب أن أذهب إلى روما. هناك سأكتشف الـ.... يبدو أننا لم نحصل بعد على حقنا فى الجلوس هنا فى هدوء وسلام. وأنا لم يبق إلا القليل.

ماريا: ما نحن إلا غرباء ورحالة. فلتكن هادئاً مستريحا.

جاليليو: إلى اللقاء أيتها الأخت ماريا شلستى.

ماريا: سأصلى من أجلك كل يوم. (تتحرك ماريا شلستى بعيدا. تسلط الإضاءة على شرفة قصر ساجريدو. الوقت ليل، وليس هناك قمر. جاليليو يدخل المشهد ويرحب به ساجريدو وهو فى حالة طيبة)

ساجريدو: الآن وأنت فى روما، يجب أن تضع فى إعتبارك فكرةواحدة ثابتة ينبغى أن تفعل كل مابوسعك لإختصار المحاكمة. كن مطيعا. كن متواضعا. كن مستسلما. عندما يقولون نعم، قل نعم. وعندما يقولون لا، قل لا.

جاليليو: لكن إذا لم أستطع أن أقول نعم، لنعمهم، أو أن أقول لا، للائهم؟

ساجريدو: إذن قل - «ربما يكون الأمر كذلك». أو «أنا لا أذكر»

جاليليو: «ربما يكون الأمر كذلك». «أنا لا أذكر»

ساجريدو: لاتضايقهم.. سالمهم. لاتدافع عن عملك... لأنك لو فعلت، سيصممون أكثر على إدانته. تذكر. كن مطيعاً كن متواضعاً. كن مستسلماً.

جاليليو: «ربما يكون الأمر كذلك». «أنا لاأذكر».

ساجريدو: لابد أن تفعل كل مابوسعك لإختصار اجراءات المحاكمة.

جاليليو: كن مطيعا. كن متواضعا. «نعم، نعم.... لا، لا، «ربما يكون الأمر كذلك». «أنا لاأذكر». [بصيحة كلها معاناة] هل

طالت سنوات حياتى أكثر مما ينبغى؟ لو أننى مت يوم صدور أول كتاب لى من المطبعة، ألم يكن ذلك أفضل إن حياتى تمتد بامتداد حياة الكتاب.

ساجريدو: سوف تعود إلى فلورنسا، وسوف تكون أمامك سنوات لتعمل.

جاليليو: هل تعتقد أنهم علموا بوصولى؟

ساجريدو: علموا منذ ساعة. كل ما أعرفه أن أحد خدمى أخبرهم. هل أحد خدمى الذين ساعدوك فى النزول من العربة، أم الميجور دومو؟ لاأحد يعلم بالضبط... على أى حال هو واحد ما. نعم علموا بوصولك.

جاليليو: لو أعرف التهم، فبإمكانى التفكير فيها. لكنت حاولت أن...

ساجريدو: أنا أعرف التهم.

جاليليو: هل تعرفها؟

ساجريدو: تهمة واحدة سوف يتهمونك بالـ...

جاليليو: كيف علمت بذلك، ياساجريدو؟

ساجريدو: أخبرنى بها صاحب القداسة.

جاليليو: وطلب منك كتمانها.

ساجريدو: بالطبع

جاليليو: وقد أقسمت بالله. إذن لن أسمعها.

ساجريدو: كنت أخشى ذلك.

جاليليو: [يتطلع عبر الشرفة] هاهى الفاتيكان حيث يقيم قداسته، الذى ربما يكون نائماً هذه اللحظة بالذات. (فى جزء آخر من المسرح يتقدم راهبان يحملان مركعا ذا مسند للذراعين، الإضاءة خفيفة، يضعان المركع. يدخل البابا ويركع عليه، يخرج الراهبان) لو أمكننى رؤيته وجهاً لوجه... كنا قريبين جداً من بعضنا.... لكن لن يرانى.... أنظر ها هو سوق الزهور. حيث يقومون بحرق المهرطقين! ترى ماذا يكون عليه حالها عندما يتصاعد الدخان الكثيف، عندما تتعالى ألسنة النيران، عندما تفترق الروح عن الجسد؟ (بصيحة رعب) ساجريدو، لايمكن أن يفكروا فى....

ساجريدو: الجو يبرد، هيا ندخل. (جاليليو يهز رأسه بشكل سلبى، مشيرا إلى رغبته فى أن يكون وحده، يخرج ساجريدو يبقى

جاليليو وحده شارداً فجأة يدخل ميجور دومو. يرتدى عباءة سوداء تغطى جزءاً من الزى الذى يرتديه. يرتعب جاليليو).

ميجور دومو: أنا لست هنا لإيذائك. (يناول خطاباً لجاليليو يقرأه).

جاليليو: الآن؟ فى هذه الساعة؟ (يومئ ميجور دومو برأسه، ويشير إلى جاليليو أن يتبعه. تتلاشى الإضاءة على الشرفة، بينما يقود جاليليو إلى البابا الذى مازال راكعا على ركبتيه يصلى. ينصرف ميجور دومو) صاحب القداسة!

البابا: جاليليو، إن روحى فى خطر. أنا فى خطر اللعنة الأبدية.

جاليليو: يا صاحب القداسة!

البابا: منذ أيام قنسطنطين، من ثلاثمائة عام مضت، عندما ابتهجت المسيحية الكاثوليكية بنصرها المجيد، تحتم على الكنيسة أن تخوض حرباً ضد الهرطقة، وتقوم دائماً ببناء الأسس لأوربا جديدة، أوربا الكاثوليكية. (ينهض البابا) تحتم علينا أن نحارب لوثر فى ألمانيا، وكالفن وزونجلى فى سويسرا، وهَس فى بوهيميا، وويكلف فى انجلترا، والبروتستانت فى فرنسا، والآنا بتست القائلين

بتجديد التعميد، والموحدين والثالوثيين، وكل الجماعات الأخرى لحركة البروتستانت المهرطقين... كل منها تشجع الحرية الفكرية، وتدعو بأن يفكر كل إنسان بطريقة مختلفة عن جاره. فى الماضى القريب ظهرت المطبعة وإنتشر التعليم المفتوح... ورحلات كولمبس وماجلان ورحلاتهما فى الأرض المحدبة، كل ذلك يمثل لنا تحديات. واليوم الناس يقولون إذا كانت الأرض مجرد كوكب بين عدة كواكب، فلن تكون تلك العظمة التى خُلقت من أجلها، ومن المحتمل ألا يكون للرب إبن واحد فقط، بل عدة أبناء يرسل واحداً لكل كوكب من كواكبك! لقد أصبحت المعركة شرسة جداً، وخطيرة جداً... وأصبحت كفتنا غير راجحة لقد واجهت الأمر بكياسة وعزم، ليس من أجل نفسى، ولكن من أجل بسط نفوذ الكنيسة الكاثوليكية. لكن الآن، ربما أفشل بسببك أنت ياجاليليو. أن تلسكوبك ماهو إلا عدسة محرقة مسلطة على أوربا. لقد هز كتابك كيان المجتمع الكاثوليكى. ولو أننى فشلت فعلا، فماذا يمكننى أن أقول، كيف يمكننى أن أدافع عن نفسى، عندما أواجه خالص وجهاً لوجه، كيف أبرر سلوكى فى حياتى؟ إن روحى سوف تحاكم مع الشيطان، وسأواجه لعنة أبدية.

جاليليو: أيصل الأمر إلى هذا الحد: إن خلاص روحك يعتمد على نجاح الكنيسة الدنيوى. وطالما أنا عدو الكنيسة، فإن خلاص روحك يتوقف على الخلاص منى.

البابا: جاليليو، لاتقل المزيد! إن روحى تعانى كرباً شديدا، ليالى مصدر عذاب لى. أعيش فى رعب خشية أن ترتفع كلماتك مباشرة إلى عرش الله.

جاليليو: بإمكانك أن تأمر الناس بما تؤمن به، لكن ليس بما تراه. إن النتيجة العلمية ليست مسألة رأى، لكنها مسألة برهان. وفى اليوم الذى يصبح فيه الإدراك العلمى للطبيعة مفهوماً، سيكون ذلك أعظم برهان على عظمة الله، وعندما يحن الوقت الذى يقف فيه إلى جانب العلم ويسانده، سيكون هو قاضيا.. وإلى أن نصل إلى هذا اليوم، ذلك الضياء، سيتضح أن عملى وانجاز الله شئ واحد. أما بالنسبة للآن، اليُوم، هذه اللحظة... ماهى سلواى؟ إسمع، ياماڤيو. بدراسة كل أعمالى، لايستطيع أى أحد إيجاد أى شبهة انحراف، عن حب وتبجيل الكنيسة الأم. وأقول الآن إن روحى الكاثوليكية كلها أمام الله.. ان سر القداس حقيقة وعزيز لدى. إنه فى أعمق أعماقى الإيمانية. وحتى يوم مماتى سأظل

ابتهل إلى عظمة الله! ليس لدى المزيد لكى أقوله، فيما عدا أن أقول: ياصاحب القداسة، وقبل أن تخرج، بما أنك ظل المسيح على الأرض، أرجو منك أن تباركنى. (يركع جاليليو. يتردد البابا، ثم يتجه إليه) لايمكنك أن ترفض.

البابا: (يقوم باشارات التبرك، ثم يركع فى مواجهة جاليليو. وبرفة يمسك وجه جاليليو بين يديه، وكله أسف واعتذار) وداعاً ياجاليليو: لن يرى أحدنا الآخر مرة ثانية. (ينهض ويخرج بسرعة).

جاليليو: (لايزال راكعا، يرفع يديه فى صلاته) أوه، ياإلهى. إقبل صلواتى! ليس من أجلى، إنما من أجل خلاص روح مافيو باريرينى!

(ينحنى جاليليو، يضع جبهته على الأرض. يثبت فى مكانه بينما تسلط الإضاءة على قاعة المحكمة. الإضاءة ساطعة. على المنصة إنجيل وصليب. الأب فيرتزولا الذى أصبح رئيساً عاماً لمحكمة التفتيش يجلس على المنصة. وعن يمينه محلف وآخر عن يساره يقوم فيرتزولا بتمرير بعض الأوراق لهما. هناك كاتب يجلس على منضدة عليها، ريش للكتابة ومحبرة وأوراق، إستعداداً للتسجيل. يقف راهب بمثابة حاجب. سكون ورهبة).

فيرتزولا : (إلى الراهب) إستدع المرافق. (يخرج الراهب، ويعود ومعه المرافق) هل هو موجود بالخارج؟

المرافق : ينتظر منذ فترة طويلة.

فيرتزولا : الإنتظار يحث على الصبر.

المرافق : نعم أيها الأب. (يقوم الراهب باسدال عدة ستائر، فتقل الإضاءة) هل أحضره الآن؟

فيرتزولا : ميعاد الجلسة حُدد له الساعة التاسعة. سننتظر حتى تدق الأجراس.

المرافق : حاضر، أيها الأب. (سكون. حتى تدق أجراس الكنيسة)

فيرتزولا : (عند الدقة التاسعة) دعه يدخل.

المرافق : سمعاً وطاعة، أيها الأب. •يذهب إلى حيث يسجد جاليليو، ويساعده على النهوض، ثم يقوده إلى قاعة المحكمة. يتحرك الراهبان إلى الخلف يقوم المحلفان بدراسة الأوراق التى أمامهما. يقف جاليليو. يضع المحققان الأوراق).

فيرتزولا : باسم الأب والابن والروح القدس، أفتتح الجلسة.

(يرسم الجميع علامة الصليب. يشير فرنزولا إلى الإنجيل القريب من المحلف) ناوله إياه. (إلى جاليليو) ردد خلفى.

فيرتزولا وجاليليو: أقسم بكل جلال أن أجيب بكل صدق على الأسئلة التى توجه إلى، دون إخفاء أى شئ، وأن ألتزم بالتعاليم المسيحية وللقرار الملهم لقضاتى المبجلين. أقسم على ذلك، وأنا أمسك بالإنجيل المقدس، وأحمل فى قلبى خشية من الله، الذى بيده أمر روحى الخالصة.

فيرتزولا: (يسجل الكاتب) اسمك؟

جاليليو: جاليليو جاليلى.

فيرتزولا: سنك؟

جاليليو: سبعون عاماً.

فرتزولا: عملك

جاليليو: عالم.

فيرتزولا: أود أن أذكر المتهم، بأن بإمكانه! إختصار فترة المحاكمة

جاليليو: كيف يكون ذلك بامكانى؟

فـرتزولا : من خلال خبرتنا مع المتهمين الذين يمثلون أمام هذه المحكمة، بعضهم يعزف سريعاً ويلقى بنفسه فى أحضان رحمتنا، وهناك من لايعترف لكنه عندما يستنطق ويستجوب على المدى الطويل بكل التسهيلات والوسائل الخاصة للمحكمة المقدسة،

جاليليو: تعنى التعذيب!

فيرتزولا : نكتشف أنه مذنب ويدان بالهرطقة. بالنسبة لهؤلاء المهرطقين فقد التزمت الكنيسة بقليل من الصبر. لذا وقبل أن تدخل فى الإجراءات، هل هناك شئ تود أن تقوله لهيئة المحكمة؟ هل هناك شئ يثقل ضميرك؟ [جاليليو يرتعب، لكنه يظل صامتاً] إذن لايوجد شئ تود أن تقوله لهذه المحكمة، ولاشئ يثقل ضميرك؟ [صمت] إذن فلندخل فى الإجراءات... لقد وصلك أمر بالمثول أمام المحكمة المقدسة هل تعرف لماذا؟

جـاليليـو: أنا لم أعلن بشكل رسمى، لكن أعتقد ذلك بسبب كتابى.

فيرتزولا : إستمر.

جـاليليـو: كتابى الذى يحمل عنوان «حوار حول نظامين للكون».

فيـرتزولا : (يقدم له الكتاب) هل يلقى المتهم نظرة على هذا الكتاب؟

(جاليليو يتناول الكتاب) هل تعرفه؟

جاليليو: إنه نسخة من كتابى. الحوار.

فيـرتزولا : وأنت مسئول مسئولية كاملة عن كل فكرة فيه، وكل حكمة كتبت فيه؟

جاليليو: أنا مسئول.

فيرتزولا : سنعود الآن إلى عام ١٦١٦، أين كنت؟

جاليليو: هل تعنى أننى كنت موجوداً فى روما؟

فبرتزولا : ألم تكن موجودا؟

جاليليو: كنت موجوداً

فبرتزولا : لماذا أستدعيت إلى روما؟

جاليليو: أستدعيت؟ أنا لم أستدعى! لقد جئت بمحض إرادتى (يتطلع إليه المحققان فى صمت) لم يصدر إلى أمر بالحضور! (صمت)، ليس هناك مايستدعى هذه المحاكمة!

فيرتزولا : آمه!

جـاليليـو: لقد حضرت كعالم لأطلع الكنيسة على حقيقة جديدة، وبصفتى رجلاً كاثوليكيا ينبغى على أن أقول ماأعتقده (صمت أنظر فى سجلاتك.. لن نجد أى استدعاء رسمى بالنسبة لى.

فيـرتزولا : فى عام ١٦١٦ ، سلم إليك قرار من لجنة الكرادلة، المنوطة بالكتب الممنوعة. ماذا كان القرار؟

جاليليو: قال لى الكاردينال بلارمن، إن ماأقوله عن دوران الأرض وثبات الشمس، ضد مبادئ الكنيسة. وعلى أى حال من الأحوال، رغم أن هذا الرأى لايمكن التسليم به كحقيقة مطلقة، إلا أنه يمكن إعتباره افتراضا.... نظرية رياضية.

فيرتزولا : المحكمة لم تقاطعك

جاليليو: لكننى ذكرت لك القرار تواً، قال إنه لايمكن التسليم به بشكل مطلق، لكن يمكن إعتباره فرضية نظرية.... نظرية.

فيرتزولا : قل للمحكمة كيف تم إبلاغك بهذا القرار.

جاليليو: أبلغنى به الكاردينال بلارمن.

فيرتزولا : الكاردينال بلارمن مات منذ سنوات.

جاليليو: موته لايغير الوضع القانونى لهذه القضية ولحمايتى وقتها وفى المستقبل، أعطانى الكاردينال بلارمن مذكرة مكتوبة عن محادثتنا. ولقد أحضرتها معى، وأود أن أضمها للمستندات. (يناولها لفرتزولا، الذى يلقى نظرة عليها ثم يعطيها لمعاونيه المحلف الموجود على يسار فيرتزولا يناوله بعض المستندات).

فيرتزولا : هاهو مستندنا عن هذا اللقاء. (يقرأ) «... ولقد أستدعى جاليليو، وحضر. وقد حذره الكاردينال بلارمن من آرائه، وأمره بالتخلى عنها. ثم أمره كبير المحققين، باسم قداسة البابا، أن يقلع عن كل آرائه.. (جاليليو يردد كلمة «لا» «لا» ولايقوم منذ الآن بالتدريس، أو الدفاع بأى شكل من الأشكال عن آرائه، سواء كانت شفهية أو مكتوبة، وإلا فسوف تتخذ الإجراءات ضده»

جاليليو: كلا! كلا! الكردينال بلارمن هو الذى تحدث معى فقط.

فيرتزولا : أتريد أن تقول أن مستنداتنا غير صحيحة؟!

جاليليو: (مشيراً إلى مذكرة بلارمن) هذا خط يد الكاردينال بلارمن. يمكنك أن ترى بنفسك. وهنا خاتمه.

فيرتزولا: (يحمل المستندين فى كلتا يديه) هاك مستندان على أيهما نعتمد؟ مستندك؟ أم مستندنا؟ (جاليليو يذهل).... نستكمل الإجراءات طيب. بعد تحذير الكاردينال بلارمن، صدرت إليك أوامر من كبير المحققين بألا تقوم بتدريس آراء كوبرنيكس بأى حال من الأحوال.... حتى باعتبارها فرضية علمية.

جاليليو: ربما يكون الأمر كذلك.

فيرتزولا: حدث أم لم يحدث؟

جاليلو: ربما يكون الأمر كذلك، لكننى لاأذكر،

فيرتزولا: أنت لا تذكر؟

جاليليو: كان ذلك منذ سبعة عشر عاما، ولم أجهد ذهنى فى الإحتفاظ بنفس الكلمات. وعلى أى الأحوال لدى مذكرة الكاردينال بلارمن.

فيرتزولا: إذن فقد تلقيت أمراً...

جاليليو: ربما يكون الأمر كذلك، أنا لاأذكر كل ماأذكره فقط، أن الكاردينال بلارمن تحدث معى.

فيرتزولا: ومن ثم خالفت أمره، وشرعت فى كتابة هذا الكتاب. قل لى، هل طلبت تصريحاً لكتابة هذا الكتاب؟

جاليليو: كلا.

فيرتزولا: لماذا؟

جاليليو: لأننى لم أعتقد بأننى خالفت أى أوامر.

فيرتزولا: وهكذا كتبت الكتاب دون تصريح. وعندما طلبت ترخيصاً لطبعه، هل ذكرت للرقباء شيئاً عن الاعتراضات الموجهة ضدك.

جاليليو: كلا

فيرتزولا: لماذا؟

جاليليو: لأننى لم أعتقد بأننى خالفت أى أوامر.

فيرتزولا: سؤال واحد آخر. فى كتابك «الحوار»، قدمت بصفتك مؤلفا شخصيتين تثيران جدالاً متعارضا.. وكل منهما يجاهد بما لديه من قوة المنطق فى التغلب على الآخر فهل هذا صحيح؟

جاليليو: المؤلف يقدم كل أنواع الجدل، بغض النظر عن إنحيازه إلى أى جانب وهو يقف مع أو ضد بقوة متساوية، لكنه لا يأخذ موقفاً.

فيرتزولا: (بغضب) لاتحاول ذر الرمال فى عيوننا! ثق تماماً بأننا نملك من المهارة والأدراك، أكثر من لديك. وماتسميه بعدم التحيز، ماهو إلا حيلة من المؤلف لبث أفكاره، على الرغم من محاولته للتنصل من ذلك. دعنا نكمل الاجراءات.

جاليليو: نعم، أيها الأب.

فيرنزولا: فى كتابك أقمت جدالاً بين شخص كوبرنيكس وآخر أرسطى. وأوردت على لسان الأول كلاماً يتسم بالبراهين القوية.

جاليليو: ماذا كنت تريدينى أن أفعل؟

فيرتزولا: لن نجعلك تفعل شيئاً إنما أردنا تأكيد الحقائق.

جاليليو: (صارخا) أنا ألعن سنوات دراستى! كان لابد أن أمحو أو أحرق كل كلمة كتبتها على الاطلاق لو كنت أستطيع!

فيرتزولا: (بهدوء شديد) لقد أجبت أحسن إجابة. لابد أن تعرف نواياك... عما إذا كان إنجازك مدروساً أم إنفعاليا سأعيد السؤال: إلى أى رأى إنحزت وساندته بالبراهين إلى أرسطو وحركة الشمس، أم إلى كوبرنيكس وحركة الأرض؟

جاليلو: أنا هنا بين أيديكم... افعلوا بى مايحلو لكم.

فيرتزولا: أنت هنا لتجيب على هذا السؤال. (جاليليو صامت) سأطرح عليك السؤال للمرة الأخيرة: فى كتابك، هل أنت لاتؤيد الرأى القائل بأن الأرض ليست مركز الكون؟

جاليليو: (ببطء) قبل قرار الكنيسة طرحت الرأين للمناقشة لكن طالما أن حكمة الكنيسة الملهمة قررت أن الأرض ثابتة، وأن الشمس تدور حولها، فعلى أن أسلم بذلك.

فيرتزولا: إذن لماذا كتبت كتابك؟

جاليليو: أنا بين أيديكم... إفعلوا بى مايحلو لكم.

فيرتزولا: أنت هنا مطيع! تجيب.

جاليليو: كان هدفى هو طرح وجهة النظر، وأبين للقارئ أن مثل هذه الحجج غير قاطعة، وأن السبيل الوحيد للتأكد من الحقيقة هو العودة إلى التعاليم السامية للكنيسة.... وها أنا ذا بين أيديكم... أفعلوا بى مايحلو لكم.

فيرتزولا: (إلى الكاتب) هل إنتهيت؟ (يومئ الكاتب برأسه) ناولنى الأوراق (الكاتب يحضر الأوراق إلى فيرتزولا الذى يصرفه بإشارة من يده. الكاتب ينصرف) أعلن إنتهاء الاستجواب (إلى جاليليو) أيها المتهم سوف توقع على وقائع هذه الجلسة (يوقع

جاليليو دون أن يقرأ). ردد خلفى هذا القسم (يردد جاليليو القسم خلفه)

فيرتزولا وجاليليو: أقسم بكل جلال وأنا أضع يدى على الإنجيل، بأن تلتزم شفتاى بالصمت التام. ولن أصرح بالقول أو بالإشارة عن أى شئ جرى هنا. (يقود الراهبان جاليليو من ذراعيه إلى خارج القاعة. ثم نراه يقاد إلى غرفته فى قصر المحكمة على الجانب الآخر من المسرح)

المحلف الأول: وبعد، أيها الأب. مارأيك؟

فيرتزولا: لقد أورد نفسه إلى التهلكة.. بإمكاننا سجنه إذا دعت الضرورة لذلك لكن لابد أن أعترف أننى محبط بحرارة.

المحلف الأول: لماذا، أيها الأب فيرتزولا؟

فيرتزولا: لأنه أنكر تماما تجاوزه الملاحظات وأصر أنه على صواب.

المحلف الأول: ودعم موقفه بمذكرة الكاردينال بلارمن.

فيرتزولا: دون إعتراف سيكون إنجازنا قاصراً. وربما تضفى عليه مراوغته هالة مقدسة حول رأسه... فيصبح شهيد العلم. لكنه إذا اعترف طواعية نستحق هذه المحاكمة غايتها سوف نعمل على

إظهار ضعف جاليليو، وعدم إخلاصه، وخيانته. سوف نحطم نفوذه. سوف نقضى على خطر متزايد تجاه الكنيسة.. لابد أن أحصل على إعترافه. طواعية. ولن أقبل أقل من ذلك. [يتنبه فجأة لشئ] لدى المفتاح. أعرف كيف أفتح مغاليق هذا الرجل. سوف أحصل على إعترافه صدقنى... سوف أحصل على إعترافه.

[ينصرف المحلفان. يتجه فيرتزولا إلى المشهد الثانى حيث تسلط الإضاءة على جاليليو فى غرفة قصر المحاكمة. ليس هناك توقف فى الحركة. فيرتزولا يدفع بورقة إلى جاليليو جاليليو يتراجع) هناك تساؤلات ذات أهمية أكثر من تلك التى تتصل بعلم الرياضيات. هناك أسئلة تتعلق بالأخلاق، وبعلاقتنا بالله، وبمستقبلنا. المسألة بالنسبة لى لاتتعلق بكون جوبتر له أربعة توابع أم لا.... هناك شئ أكثر أهمية من ذلك. إذا كان لأرواحنا أن تفنى، سواء خلال ثمانين عاما أو ثمانين مليون عام، فإن هذه الفترة الزمنية ما هى إلا منحة إلهية. إن وراء عالمنا المادى عالم روحى، أكثر ثراء بكثير من العالم الذى نحياه، عالم نصبح جزءاً منه [يقدم إليه الورقة] خذها!

جاليليو: كلا! كلا! ليس لدى إعتراف أدلى به! سوف أجيب على الأسئلة، وإذا وجدتنى مذنبا، بإمكانك أن تعاقبنى. لكن ليس لدى إعتراف أدلى به.

فيرتزولا : إقرأ الورقة!

جاليليو: إنه إعتراف لن أقرأه.

فيرتزولا : إن العالم يتأرجح على حافة الدمار. ووحدة العالم المسيحى فقط هى التى تستطيع لم شمل البشرية. لكن هذه الوحدة تعتمد على سلسلة من المعتقدات تختص بالعلاقة بالله، والإنسان والعالم. والشخص الذى يهدد هذه الوحدة، يهدد العالم.

جاليليو: (يبعد الورقة) كلا!

فيرتزولا : وأنت ذلك الشخص. جاليليو، أنت تدمر وحدة العالم. لقد أصبحت مدمراً.

جاليليو: كلا! كلا! لن أدلى لك باعتراف.

فرتزولا : أنت تقول إنك برئ. إستناداً إلى ماذا؟. إلى تفكيرك! لكن ماذا لو كان تفكيرك خاطئا؟ وأن أمير الظلام قد تلبسك، وأنت فى هذه اللحظة خادم له وتقوم بعمله؟

أليس هناك أدنى شك فى تفكيرك؟ لابد أن يكون فى أعماق أعماق تفكيرك ظلال من الشك. فكر، يا جاليليو، فكر! إن وحدة الكنيسة بين يديك. لو أن هناك ظلاً للشك فى تفكيرك، وأنت تقلل من شأنه، فإن كل أشرار العالم، أمثال لوثر وكالفن، وبقيتهم

يصبحون قديسين مقارنة بك. لقد هجروا الكنيسة وهاجموها دون خسائر! أما أنت، فسوف تدمر ما تدعى أنه حب. فكر! أتجرؤ على تصور هذه المسئولية المرعبة؟ ماذا عن روحك؟ ستظل نار جهنم إلى الأبد تحرق وتبدد روحك تحرقها.. وتحرقها. وستظل باقية فى النار إلى أبد الآبدين.

جـاليليـو: (يأخذ الورقة ويلقى عليها نظرة) «طموح مغالى فيه»! ترضية سوقية».. «غرور»! هل هذا ما يجب أن أقوله عن نفسى؟ (يلقى الورقة على الأرض).

فـيـرتزولا: إن أخذك لهذه الورقة من يدى لهو خطوة إلى الأمام، تحطيم للحواجز، وبداية لإنتصارنا. (يلتقط الورقة ويدفع بها إلى جاليلو. جاليليو يبتعد). لا تبتعد. من أجل روحك، لا تبتعد. أنت تعترض على كلمات قليلة.. ربما تكون قاسية جداً. لكن هل تدع بضع كلمات قليلة تقف حاجزاً فى طريقك؟ جـاليليو، الإنسان كائن روحى يتسم بقدرية خارقة. وقدريته هى الشىء الذى يهمنا بدرجة كبيرة. لا تدع روحك تنزلق بعيداً عنك. سوف أبتهل معك، وأصلى معك حتى تتأكد من كمون روح الله فيك، وإذعان إرادتك له. هيا، نصلى. (جـاليليـو يرتعش، يحملق فى الورقة. فيرتزولا يبدأ الصلاة) «عندما ترتعش يداى ونيردان...».

جاليليو : صلاة الموت!

فيرنزولا : (برقة) صل معى.. (يرتفع صوت فيرتزولا بقوة وتصميم، بينما يكون صوت جاليليو خفيضا متلعثما. ثم يحدث العكس) فيزنرولا وجاليلو: «عندما ترتعش يداى وتبردان، ولن يكون فى مقدورى لمس الصليب، وأتركه يسقط على غير إرادتى، فوق فراش معاناتى، فأرحمنى يا رحيم. عندما يهتاج خيالى بالأشباح المرعبة، وأشعر أنى أغرق فى غذابات جهنم. عندما ترتعب روحى من خوفى المستعر، لقضائك. هل سيكون بمقدروى محاربة ملك الظلام، الذى سيسعى لحجب رحمتك على، رحمتك؛ أيها المسيح، عندما تُصم أذنا إلى الأبد، فهل ستتضح ثانية لأسمع الحكم النهائى، الذى سيقرر هلاكى الأبدى. إيه أيها المسيح، أسبغ على رحمتك».

(تتركز الإضاءة على جاليليو الذى يظل راكعا. يتحرك فرنزولا والورقة فى يده إلى المشهد التالى، حيث إجتماع الكرادلة فى قصر التحقيقات، الذى كان على وشك الإنتهاء، من مناقشة قرار صعب. الكل مذهك. الأعصاب متوترة. اللجنة مكونة من، البابا أريان الثامن بالإضافة إلى الأب فيرتزولا وعشرة أعضاء هم: الكاردينال بورجيا، الكاردينال دا أسكولا، الكاردينال بينيڤيوجليو،

الكاردينال دى شريمونا، الكاردينال شيبى، الكاردينال أنطونيو باربرينى، الكاردينال زوكيا، الكاردينال فيروسبى، الكاردينال. فرانشيسكو باربرينى، والكاردينال جلتى. كما يوجد الكاردينال كارلو باربرينى، رغم أنه ليس عضواً فى اللجنة... مع ملاحظة أن الأشخاص الذين سيتحدثون من أعضاء اللجنة هم الكاردينال بورجيا، والكاردينال بينتيفوجليو).

فيرتزولا: (يقرأ) «أنا، المدعو، جاليليو جاليلى، وقد تخليت عن آرائى، أقسم وأتعهد بالإلتزام بذلك، وليساعدنى الله. وبناء على ذلك وبحضور وشهادة أعضاء المحكمة قد وقعت باسمى». وهكذا، يا أصحاب النيافة، بعد أن يقرأ جاليليو إعترافه، سوف ينهض من سجوده، وسيقوم راهب بإحضاره من الكنيسة ويأخذه إلى الحجرة المعدة له.

البابا: أصحاب النيافة. لقد قرأ فيرتزولا إعتراف جاليليو، والتعهد الذى سيأخذه على نفسه. بعد ذلك سوف ينشر ويوزع فى كل العالم المسيحى. ولقد روعى أن تكون كل الإجراءات قانونية، والآن إذا لم يكن هناك مزيد من المناقشات، فلا يبقى قبل أن ننهى الإجتماع. إلا أن توقعوا عليه. فيرتزولا، قم بتمرير الإعتراف عليهم. (يقوم فيرتزولا بتقديم الريش والأقلام).

يورچيا : فيرنتزولا ، هل من الممكن أن تقرأ جزءاً واحداً من هذا الاعتراف ؟

فيرتزولا : لو رغب نيافتك فى ذلك .

بورجيا: قرب النهاية ما يتعلق الخطأ المهالك المميت.

فيـرتزولا: (يقرأ) «وبناء على خطئك المهلك المميت، الذى يمكن ألا يبقى بلا عقاب، وحتى يكون عبرة لآخرين حتى يمتنعوا عن إرتكاب آثام مشابهة، فقد أمرنا بمصادرة كتاب «حوار حول نظامى الكون» وحرقه علانية» .

يورچيا : أنا أعترض على حرق الكتاب . يكفى مصادرته .

فيـرتزولا : هذا لا يكفى! يا صاحب النيافة . لابد أن تقوم بتدمير علنى، حتى نشعر الناس بقدسية سلطتنا. لابد أن يحرق!

البـابا : أنا أميل إلى رأى بورجيا . سيكون الحرق شيئاً دراميا مبالغاً فيه . دعنا نكن وسطين . فرتزولا ، غير الصياغة ، من «حرق علنى» إلى ، «مصادرة علنية» .

فـيـرتزولا: سأفعل يا صاحب القداسة . لكن هناك أوقات لا ينبغى فيها أن نتراخى فى تنفيذ واجباتنا الحاسمة .

بورجينا : لو أن فيرنزولا إتبع هذا الإسلوب، فسوف يحرق كل كتاب وكل مسيحى فى العالم المسيحى. من الذى سيبقى؟

لن يبقى سوانا نحن الثلاثة عشر، الموجودون فى هذه القاعة؟

فيرتزولا: وربما يكون بعض منا ليس فوق مستوى شبهات الادانة بالهرطقة.

بورجيا : كيف تجرؤ! (ينفجر الكرادلة ويصيحون بالآتى: «بورجيا على حقّ. «أسكت، يا بورجيا». «لا ينبغى السماح بذلك». «كن حذراً يا بورجيا». «إنه على صواب». «ما الذى يفعله» «أنا أتفق معه». «بورجيا عاد لشغبه ثانية».

البابا : كفى! كفى! (صمت تام) وقعوا الوثيقة. فيرتزولا، قدم الوثيقة للكاردينال دى شريمونا. (شريمونا يوقع) والآن، الكاردينال ڤيروسبى (ڤيروسبى يوقع) الكاردينال بورجيا.

بورجيا : (والريشة فى يده) صاحب القداسة، لقد طلبت منا أن نوقع. بعد أن نوقع هل ستتشرف هذه الوثيقة بتصديقك عليها؟

البابا : بورجيا، لقد كنت حجر عثرة طوال الإجراءات. أنت تعلم أننى لا أستطيع أن أوقع على هذه الوثيقة.

بورجيا : سوف تحمل توقيعك، لكنه لن يكون توقيعك. وهكذا، سيدان جاليليو ويُعاقب من قبل لجنة الكرادلة... وليس من قبل البابا. فهل تتفضل قداستك وتدلنا لماذ لا توقع، رغم أنك طلب منا أن نوقع؟

البـابا : بورجيا، أنت تطلب منى أن أسير فوق أرض نحن جميعاً نعرف كنهها.

بورجـينا: ربما يكون بعضنا غير ضليع تماماً بمعرفة هذه التفاصيل الدقيقة.

البابا : أنت تعلم مثلى تماماً، أننى بتوقيعى على هذه الوثيقة، أضع مستقبل سلطة الكنيسة الكاثوليكية فى خطر مميت.

بورجيا : خطر مميت؟

البـابا: (باهتمام بالغ) لقد أعلنا أن حركة الأرض تلك باطلة تماما، وتتعارض مع ما جاء فى الإنجيل المقدس .هذا يتناسب مع الوقت الحالى. لكن كنيسة روما ليست مؤسسة ليوم واحد أو لقرن واحد. دعنا نتصور أن جاليليو قد يثبت: أنه على صواب فى المستقبل. ساعتها سوف يشير الهرطقون والملحدون ويقولون: «بابا سابق معصوم من الخطأ وقع على وثيقة زائفة». كيف سيتسنى لنا

نحن حراس الكنيسة المفترض فينا، أن نترك لمن سيأتون بعدنا مؤسسة غير فاسدة. كيف يمكن أن نتخلى عن القيام بواجباتنا؟.. لذا يجب أن يُخرس جاليليو!. إن إحتياجات العقيدة الملحة تتطلب ذلك!... لكن دعونا نفترض أن اللجنة قامت بالتوقيع على الوثيقة وحدها، وثبت بعد ذلك أنها على خطأ. فى هذ الحالة فإن عصمة البابا من الخطأ، لن تتورط فى هذا الأمر، وستقرر الكنيسة وقتها بأن هذه اللجنة كانت على خطأ كأفراد، لكن ليس كمؤسسة. وهكذا بتوخى الحذر وبعد النظر، يمكننا أن نتجنب الأشواك التى تعترض سبيلنا، حتى تتفتح الزهور.

بورجـيـا : وتتركنا مع الأشواك. نحن لسنا كرادلة، بل خدماً خائفين. تريدنا فى المجلس فقط عندما تكون فى حاجة لتغطية أخطائك.

البابا : أنت عاق!

بورجـيـا : إن خدماتى لك مازالت تطوق عنقك. انه أنا، بوصفى كاردينالا، من ساعدك فى إنتخابك بابا. وبمهارتك فى السعى لإنتخابك فى ذلك اليوم. لقد اتهمنى أتباعى بأننى بعتهم لك، على وعد بخدمة خاصة. لكننا جميعا نعلم، أنت وأخوك وأنا، بأننى أحصل على أى شئ منك. إن المرء ليظن أن كنيسة روما قد أسست خصيصاً لملئ وظائفها من عائلة باربرينى.

كارلو: انها لم تؤسس لهذا الغرض بصفة خاصة.. لكنها تقوم بالخدمات. (تحدث ضجة ـ كرد فعل لما قيل).

البـابا: سكوت ! سكوت! سكوت! تتشاجرون فى حضرة ظل المسيح على الأرض. ألا تخجلون؟ (يسود القاعة هدوء تام. البابا بهدوء) فيرنزولا، مرر الوثيقة. (فيرنزولا يقدمها للكاردينال شيسى فيوقعها. ثم إلى فرانشيسكو الذى يسقط ريشته على المنضدة، البابا يُجرح) فرانشيسكو! ابن أخى!

فـرانشـيـسكو : أنا أتحدث إليك باعتبارك أبى المقدس وعمى فى نفس الوقت. أنا لا أستطيع أن أوقع على هذه الوثيقة بضمير مستريح

البابا : (إلى كارلو) أخى، تحدث إليه.

كارلو: دعنا نوقع وننتهى فى هذه المهمة الثقيلة.

فرانشيسكو: فى هذا الأمر بالذات سأتبع ضميرى. وبصفتى عضواً فى هذا المجلس المقدس، سوف ألتزم الصمت أمام العالم الخـارجى... لكن هنا، فى هذا الاجتـمـاع، سوف أتكلم!! الأجيـال القادمة سوف تُدِيننا لإضطهاد جاليليو، كما يحدث اليوم ونَدين قضاة سقراط. (ينظر إلى كارلو مباشرة، فى الوقت الذى يمسك

بريشته ويلقى بها على المنضدة) تهانى، يا فيرتزولا! لقد أنجزت عملاً لا أخلاقيا لا مثيل له.. قيامك بدور الوغد الذى خدع جاليليو ليوقع إعترافه.

فيرتزولا: لقد قمت بما يحتمه الواجب.

فرانشيسكو : عقرب!

فيرتزولا: (بتماسك هادئ) صاحب القداسة، إبن أخيك يهننى.

البابا: (بنتيڤوجليو) كاردينال بنتيڤوجليو.

فرانشيسكو: (إلى بنتيڤوجليو) بنتيفرجليو، لقد درست على يدى جاليليو. لا توقع!

البابا : بنتيڤرجليو!

فرانشيسكو: (بتوسل) بينتڤيوجليو!

بنتيڤوجليو: (يستدير بقوة ناحية فرانشيسكو) من أنت حتى تقول لى، أن أدمر ما بقى فى حياتى؟ (يوقع الوثيقة الآن أمام زوكيا. يسقط ريشته بهدوء).

فرانشيسكو : (باهتمام) أنت لا ...، يا صديقى. فأنا إبن أخ البابا.. وبورجيا سفير أسبانيا. لن يستطيع أحد أن يمسه. لكن

بالنسبة لك يا زوكيا.. كلا. ستمضى الأمور بأى حال من الأحوال، وسينفذ الحكم على جاليليو، بالضبط كما خطط له عمى. وقع يا زوكيا.. وربما يُغفر لك.

زوكيا: إن عمل جاليليو سيحيا، أما نحن الذين أدناه.. سنظل محتقرين إلى الأبد. (يخطف ريشته ويقذف بها على الأرض. يغادر القاعة يتبعه فرانشيسكو وبورجيا. تسود القاعة مشاعر الأسى والامتعاض).

البـابا: (بنغمة هادئة خافتة مشوبة بالأسى) دعونا نواصل. فرنزولا، الكاردينال (دى أسكولا ينتظر التوقيع).

فيرنزولا: حاضر، يا صاحب القداسة. (فرنزولا يقدم الوثيقة إلى أسكولا، فى الوقت الذى تسلط فيه الإضاءة على كنيسة سانت منيرفا. يخرج الجميع، بينما يقوم راهب بحمل رداء التوبة إلى جاليليو، يساعده فى النهوض وإرتداء الثوب. يقود جاليليو إلى مكانه، يركع جاليليو فى إتجاه نافذة علوية مضيئة. يقف الراهب ساكنا خلف جاليليو بقليل).

جاليليو: (يقرأ الإعتراف الذى يقدمه له الراهب) أنا، جاليليو جاليلى، المقيم فى فلورنسا والبالغ من العمر سبعين عاما، أركع

أمامكم، وأقسم بأننى دائماً كنت مؤمنا، ومازلت مؤمناً حتى الآن، وعلى الدوام سأظل مؤمناً بعون الله، بكل ما تراه الكنيسة الرسولية فى روما حقاً وصدقا.

والآن، ومنذ أن اتهمت بالهرطقة، لأننى زعمت أن الشمس هى مركز الكون، وأن الأرض ليست كذلك، وأنها تدور، وأنا فى حالة من القلق لكى أمحو من ذهن قضاتى ومن ذهن كل مسيحى مخلص هذا الزعم القبيح الذى يلح على. ولذلك، فأنا الآن وبقلب مخلص، أتخلى عن هذا الزعم وأهجره وألعن هذه الأخطاء التى تتسم بالهرطقة. وأقسم بأننى فى المستقبل لن أتفوه بأى شىء أو أكتب أى شىء من شأنه أن يثير هذ الاتهامات ضدى. أكثر من ذلك أقسم بأننى لو حدث وعرفت أى مهرطق، أو أى شخص يُشتبه فى أنه مهرطق فسوف أبلغ عنه المحكمة.

أنا، المدعو، جاليليو جاليلى، وقد تخليت عن آرائى، أقسم وأتعهد بالالتزام بذلك وليساعدنى الله، وبناء على ذلك وبحضور وشهادة أعضاء المحكمة قد وقعت بأسمى. (يصرخ عاليا) جاليليو جاليلى! (تتلاشى الإضاءة بينما يخرج الجميع من المشهد. تسلط الإضاءة على الدير. نرى ماريا شلستى، وساجريدو والأم سوبريور.

ماريا شلستى مريضة وواهنة. أمامها مجمرة نحاسية مشتعلة تلقى فيها بخطابات جاليليو).

الأم سوبريور: ألا يمكنك الإنتظار؟ لماذا تصرين على حرقها اليوم؟

ماريا: لابد أن أحرقها. فأنا أشعر بالموت يدنو منى. عندما يحل الموت، وتفتشين فى ممتلكاتى، قد تجدين شيئاً. لا أعرف ما هو، ومن الممكن إستخدامه ضده.

الأم سوبريور: لا يمكن أن استخدام أى شىء، قد يضر بوالدك!

ماريا: هذا شهرى بك. ضدا هو أحسن حل.. لقد أنقذتها جميعا.

كل رسالة، كل كلمة كان كتبها إلى. الآن لن يبقى أى شىء.

ساجريدو: أحرقيها! حرقتها حتى لا يبقى شىء. العالم فى خضم من اللهب.. فلماذا نبقى على خطابات جاليليو العزيز؟

من ذا يهتم بذلك؟

الأم سوبريور: الله يهتم.

ساجريدو: الله يهتم ..؟.. إيه يا له من عالم مرح ذلك الذى نعيش فيه. (إلى ماريا) أحرقيها!

الأم سوبريور: أنا حزينة لمعاناتك.

ساجريدو: نحن نستحق الموت. جميعا. ليس فى سلام على فراشنا. بل حرقاً فى النار ورمادها.

مـــاريا: (بأسى، لكن بمسحة من عدم الصبر) نحن بعيدون جداً عن بعضنا. المسافة اللانهائية التى تفصل بين نجم وآخر، تفصل بينى وبينك.

ساجريدو: (مدافعا) أنا، أتكلم...

ماريا: (تقاطعه) كفى، يا عزيزى، ساجريدو. أنا أدرك.

(إلى الأم سوبريور) لقد صليت ليمد الله فى حياتى لكى أراه، وقد استجاب الله لصلواتى.

الأم سوبريور: عندما تشرق شمس الربيع ستكونين على ما يرام.

مـــاريا: الحمى تحرقنى أيتها الأم. لن أعيش حتى قدوم الربيع. لا تبكى، أيتها الأم. كونى بشوشة معى من أجل الله. سوف أرى والدى مرة ثانية.

ساجريدو: أوه، إلى حين أن تنفجر البراكين في كل أنحاء العالم وتنفث نيرانها وركامها يوما بعد يوم. نار وركام حتى يصبح كل رجل، وكل امرأة وكل طفل، وكل شجرة وكل زهرة، كل حيوان في الغابات والحقول، كل تلك الأسماك العجيبة في أعماق البحار.... كل شيء .. كل شيء.. كل شيء، مغطى بالنار والركام...، فنحن لدينا الفرصة من الآن فصاعداً، لننشر الحقيقة والمعرفة لأجيالنا. لكي نخلقُ... فلابد أن نفتح الأبواب.... ونحن قد فشلنا... نار وركام. نحن نستحق ذلك. نار وركام. فليدمر كل شيء.

الأم سويريور: هذا زمن من الأزمان ام أكن أتمنى أن أكون فيه راهبة. كم كنت أود أن أطوقك بذراعي وأطلب منك أن تبكي.

ساجريدو: أنا لا أبكي. فهذا العالم لا يستحق دموعي.

الأم سويريور: (تمسكه من ذراعه) ساجزيدو، أطلب منك أن تبكي من أجل رب الكون... فالبكاء سيريحك. (بعد لحظة، تقوده إلى أريكة، يجلس بوجه جامد محزون. ماريا وقد إنتهت من حرق الخطابات، تحاول الآن أن تمزق كتاب جاليليو) ماذا تفعلين بهذا الكتاب؟

ماريا : إنه ممدوح بأمر روما. ساعديني، أيتها الأم. لا أقوى على تمزيقه وحدى. ا تقوم الإثنتان بتمزيق الكتاب نصفين. تلقى ماريا جزءاً منه في النار) الكتب لا ينبغي أن تُحرق. (تبكي وتفتش في النار، تجذب الأم سوبريور يدها إلى الخلف) ساعديني، أيتها الأم. صاحب القداسة يجب أن يكون على صواب، إلا أن والدى لا يمكن أن يكون على خطأ أيضاً.

ساعديني، أيتها الأم... (ترتمي في صدر الأم سوبريور).

الأم سوبريور: إبنتي... إبنتي ألا ينبغي علينا أن نحاول الفهم. انما يجب علينا أن نؤمن فقط، ونصلي... نصلي دون إنقطاع من أجل خطايا البشر وآلام العالم.

ماريا : (تتماسك، وبهدوء) رسالته تفيد بأنه سيصل قبل الغروب. (تتجه نحو السلم).

الأم سوبريور : إستريحي، يا ابنتي. سأذهب (تتحرك) هناك شخص مقبل عند إنحناءه الطريق.

ماريا : أبي؟

الأم سوبريور: مضى من هنا منذ عام؟

ساجريدو: ستة أشهر في روما... وستة أشهر في المنفى.

الأم سويريور: لم يكن هذا العام رفيقاً به.

ماريا: دعينا وحدنا، أيتها الأم، ولا تدعى أحداً من الأخوات يحضر إلى هنا) تنصرف الأم سويريور).

ساجريدو: (ينهض) وأنا أيضا سأنصرف.

ماريا: شكراً لك، أيها الصديق العزيز، لتركنا وحدنا. (بينما هو ذاهب) كن قوياً. (تجلس على الأريكة، يقبل جاليليو من الناحية الأخرى، منهك وعجوز. يقف للحظة على مبعدة. تفتح ماريا ذراعها له، يتجه إليها راكعاً على ركبتيه، دافناً رأسه فى حجرها).

جاليليو: بوليسينا! بوليسينا!

ماريا: كفى.. يا أبى، كفى!

جاليليو: طوال حياتى لم لم أكن فى حاجة إلا لشيئين إثنين فقط. إنجيلى وتلسكوبى. لكننى خنت الإثنين. لقد وضعت يدى على الإنجيل... على الإنجيل! وأقسمت كاذباً فيما يختص بعلمى!

ماريا: ان الله يدرك الكثير من الأشياء، ويقدر الأفعال المعترضة للبشر، خاصة عندما تتناقض مع بعضها. أنت فى نظر الله رجل متدين وعالم عظيم. (تتناول وردة من على المنضدة) وجدتها اليوم، وردة شتوية (تعطيها له) ومع هذه الوردة لابد أن

تقبل شوكها معها، رمزاً لقسوة مشاعر البابا. ودع الأوراق الخضراء لتكون بمثابة أمل لنا، بأن نعبر ظلمة الشتاء إلى الربيع الوضاء... ولعل ربنا الكريم يتغمدنا برحمته.

جاليليو: أنت لا تبدين على ما يرام.

ماريا: مجرد حمى خفيفة.

جاليليو: (يمسك يديها) يداك باردتان. تعالى. (يقودها ناحية المجمرة)

دعيني أدفئها لك... لو أنني إلتقطت جمرة فحم وضممت عليها قبضتي بقوة حتى يحترق لحمي ومن ثم تصل النار إلى عظمي وتؤلمه حتى يصل الألم إلى قلبي، فهل تأكل النار ما بداخل قلبي ترى كم يمضي من الوقت قبل أن ينتهي الأذى؟

لماذا لم أدعهم يحرقونني؟

ماريا: لا داعي لأن تتكلم بهذه الطريقة.

جاليليو: لماذا لم أدعهم يحرقونني؟

ماريا: لقد كنت على صواب عندما إخترت الحياة العقيدة تتطلب شهداءً. لكن العلم يتطلب رجالا أحياء.

جاليليو: ان إسمى ممنوع من التداول. كتاباتى فى قائمة الممنوعات.

كتبى لا بد أن تدمر. لماذا أعيش؟

ماريا: ستظل تعمل. تكتشف! وتخترع! وتبدع!.

جاليليو: إلى أى مدى؟ أنا ممنوع من نشر أى شىء أكتبه.

ماريا: سوف تنشر كتاباتك. ربما ليس الآن، لكن محتمل فى وقت آخر. إن ما أنجزته، وما سوف تنجزه، سيساعد علماء آخرين فى الأعوام القادمة.

جاليليو: (فى صيحة غضب) دعمى إيمانى، يا أخت!

ماريا: عندما كنت أكتب ملاحظاتك عن ميكانيكية القوة والحركة، قلت لى أنه مجال لم يتطرق إليه أحد، وفى إنتظار إنتشاره. وعندما بدأت تقوم بتجاربك ثانية على القوة والتوازن... كنت أنا وقتها طفلة يا أبى، لكننى أذكر تلك الليلة وأنت تناشد ليبرى والآخرين مساعدتك فى نشر الحقيقة. قلت إن هناك أراضى مجهولة لابد من الكشف عنها، جبهات من المعرفة لابد أن نجلوها. ثم، عندما نشرت كتابك، حضرت إلى فى هذا الدير، وقلت إن الجهل لعنة، ينبثق عنه الفقر والمرض. أبى، إن كل ذرة

تعَلْمْ، كل حقيقة تُلاحظ وتُسجل، ما هى إلا إنقضاض على هذا الجهل، هذا الفقر، هذا المرض. لا يمكن أن توقف عملك! عدنى بأنك ستعمل.عدنى.

جاليليو: يداك باردتان جداً، يا بوليسيدا

ماريا: عدنى!

جاليليو: أعدك.

ماريا: سوف تصنع من محنتك سيفا!

جاليليو: (تدق أجراس الكنيسة) يجب أن أصلى. فهناك جزء فى إعترافى، يلزمنى بأن أردد ترانيم التوبة يوماً فى الأسبوع. وهذا هو اليوم.

مـــاريا: أعرف فقد حصلت على تصريح بالقيام بها نيابة عنك.

جاليليو : بوليسيدا !

ماريا: أن أقوم بها كفارة عنك فهذا يسعدنى. إسترح يا أبى.

(جاليليو يجلس، بينما تقوم ماريا بتلاوة الترانيم) «فلتشملنا برحمتك، يا الهى، يا أرحم الراحمين. أنا أعلم بأخطائى، وآثامى،

وهى دائماً ماثلة أمامى. يا ألهى لا تزدرى قلبى المحطم النادم. لا تحرمنى من رحمتك. باسم الآب والابن والروح القدس، آمين». تتوقف ثم تقف فى صمت. جاليليو على الجانب الآخر من المسرح فى مناجاة، ماريا لا تسمعه، كلاهما يتبادلان الحوار.

جاليليو. وأنا راكع على ركبتى، أُجبرت على نكران نفسى، ونكران علمى بقوانين الكون. بإمكانك أن تحطم كل التلسكوبات، وتسحق كل العدسات، وتحرق كل الكتب؛ بإمكانك أن تأمر الجنس البشرى بأن يخفض بصره إلى الأرض مثل حيوان ذليل، يمكنك أن تقلع عيون كل العارضين الذين يجرأون على رفع رؤوسهم إلى الفضاء ومراقبة النجوم... لديك القدرة لفعل كل ذلك، لكنك لا تستطيع أن تغير الحقيقة ولا صدق الحقيقة، بمثقال ذرة. (يضرب الأرض بقدمه) إنها تدور!

ماريا : «أقبل صلواتى، يا إلهى، ولتصل ضراعتى لك، لأننى نسيت كل شىء تماما، مثل رجل ميت بلا ذاكرة. لقد أصبحت مثل وعاء محطم. عيناى كلتا من الحزن. وأيامى مضت كالظلال. باسم الاب والإبن والروح القدس، آمين. عالم بلا نهاية.

جاليليو : أين الأرضية التى يلتقى عليها الإيمان والعقل. أم أن العقل البشرى ليس لديه القدرة على التدبر فى عالم العقيدة، ولذلك

ينبغي عليه أن يقبل بكل تواضع حقيقة العقيدة، الواضحة وحدها، دون أي تفكير؟ لو أن الأمر كذلك، فماذا عن المعرفة التي استقيناها من التجارب؟ وأنا أقول، لو أن الإنسان تخلى عن العقل ليفسح المجال للإلهام فسوف يطفئ نور الاثنين... ساعدني يا إلهي. هبني معياراً لمعرفة الحقيقة... إنها تدور بالفعل!

ماريا : «أبتهل إليك يا إلهي من أعماق قلبي. إسمع ندائي. تقبل صلواتي. يا إلهي، إن قلبي مقفر بداخيل. لا تشح بوجهك عني. أنر لي طريق الهداية، لأنك ربي؛ ولتكن محبتك دليلي.

جاليليو : هل بوليسينا على حق؟ هل تستأهل أيام حياتي أن أقضيها في العمل؟ أبحث في قوانين القوة والحركة؟

«ستصنع سيفاً من محنتك». هل سيصنع العمل هذا السيف؟

هل أستطيع أن أحقق خلاصي؟. أقسم بالله، وبالمسيح، أن الأرض تدور فعلا!

«انتهت»

الفهرس